

# **DAMAGE BOOK**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190526**

UNIVERSAL  
LIBRARY















# الضاحك الباكي...

تأليف

فكري باظه  
المحامي

الطبعة الثانية

مطبعة النهضة

سنة ١٩٣٣



# الأهداء

كنت سأهديه لها...

ولكن أين هي؟!

إنها تجسمت في خيالي ملاكاً...

ثم توارت عن خيالي...

فلن أهديه لأحد!

فكرى ابانظ

المعاصى



# المقدمة

كلُّ ما في هذا الكتاب قد وقع ...

فاقرأوه على أنه حقيقة ...

ولا تقرأوه اذا ظننتم أنه خيال

فكرى اباظه

المحامي



# مقدمة الطبعة الثانية

جرى عرف المؤلفين في مصر بأن يكلوا وضع المقدمات الى اصداقهم ومحبيهم ومشجعيهم من كبار الادباء والكتاب . ولقد خضعت أنا بالذات لهذا العرف في مجموعات مقالاتي الثلاث التي اصدرتها منذ سنين . ولكنى اليوم أنور على هذا العرف وأضع مقدمتى بنفسى لم أثقل على صديق فأكلفه بأن يقرظ وبأن يمدح ؟ !  
لم لا يكون المؤلف شجاعاً فيعرض على قرائه ما يراه في كتابه بكل صراحة وبكل جرأة ؟ !

لقد جربت نقد نفسى فنجحت التجربة وكانت مرآة صادقة ليس فيها زيف ولا تزوير ولا مجاملة ولا مداراة . على هذا الاساس أصدر طبعتي الثانية بمقدمة من قلمى . ولست أخرج فى شىء فأنما أكتب « لآسرة قرأئى » فالمسئلة بينى وبينهم مسئلة عائلية فيها كل ما فى الجوى العائلى من تسامح ، وإغضاء ، وصفح ، وغفران . . .

## المحرصه على التأليف

كتب الى كثيرون يسألوننى عن المحرض الذى دفعنى لتأليف هذا الكتاب ؟ وسأل آخرون يطلبون الى ان أوضح لهم كيف كنت أولف وفى أية ظروف وفى أى جو ؟

والجواب بسيط ...

المحرض هي العاطفة !... عاطفة غريبة الاطوار انتهت أخيراً بالفشل ، ولكنها خلفت لى ثروة « طائلة » من الخبرة والمناعة . ومن أغرب نتائجها المحققة أنني لا أدري للآن هل كنت فيها المدمن أو الدائن؟! ...

كانت تقضى بعض اجراءات تلك العاطفة بأن آوى الى مسكنى فى الساعة التاسعة مساء . وبأن اظل انتظر مخابرات تليفونية متكررة من القاهرة حتى ساعة متأخرة من الليل . وكان الوقت طويلاً - والهدهو شاملاً - والسكون مغريباً ومثيراً للذكريات القديمة . فقلت فى نفسى :  
أقطع الوقت بالتأليف ...  
وقد حصل ...



ويرتاب الكثيرون فى أن ما تضمنه كتابى قد وقع بالفعل كما ذكرت . ولا ازال ارجو من المتشككين أن يصدقونى ولو فى العمر مرة ... كل ما فى هذا الكتاب قد وقع . وإنما غالطت فى بعض التواريخ وفى الاسماء وفى الجغرافيا تقديساً للذكريات ، واحتراماً للابطال الذين ورد ذكرهم فى القصة . رحم الله من مات منهم وأسعد من عاش ! ...

مبين

التأليف القصصى عمل جبار لا يستهان به . وفرق عظيم بينه وبين التهويش بالمقالات القصار . النجاح هنا مضمون وهناك عسير . والمؤلف

الامين الذى لا يسرق ولا يلخص ولا يستعير مؤلف امره الى الله . . . .  
لذلك أتممت القصة الاولى من كتابى . فلما وجدتها شيئاً يستحق العرض  
على اصدقائى جينت !!! جينت وتراهى الفشل أمام عيني بمظهره الخيف  
الرهيب . وقرأت القصة على أحد أقاربي العصيين فبشرنى بالفشل  
وبالسقوط ! . . . . ولكنى تشجعت لأن قريبي هذا كان لا يمت الى  
الادب بصلة ؟ ! وقرأتها من جديد على أقاربي الادباء فشجعونى . . . .  
ثم عرضتها على اصدقائى فشجعونى . . . . ثم عرضتها على المرحوم  
العزيز « محمود سكر » فأبقاها عنده ساعتين ثم عدت فوجده قد اعد  
عقداً بالشراء فتشجعت . . . . ثم عرضتها على صديقي العزيز الاستاذ  
« اميل زيدان » وهو شاب رزين مثد لا يسرف فى القول ، فقال لى :  
استمر ! فتشجعت وأتممت الكتاب . . . .

## كم ألفاً؟ وبكم؟

« سر المهنة » لا يبيح لى حسب الاصول المطبعية المرعية أن أعلن  
الوارد والمنصرف . ولكنى لا أضن على زملائى الطابعين بالتفاصيل اذا  
شاهوا . . . .

انعقد مؤتمر من الاستاذ اميل زيدان والاستاذ شكرى زيدان  
ومنى . . . كم ألفاً نطبع؟ وبكم الثمن؟ . . . هذه اشياء قد تلذ للمؤلفين . . .  
وهى مباحث فيها كثير من التردد والاقدام والاحجام . . . وكانت  
« الازمة » تهددنا من بعد عدداً وثمناً . . . . ولكننا توكلنا على الله

وحددنا الثمن معتدلاً ؟ وجازفنا بالآلاف اعتماداً على مجرد الحظ !  
وشرعت في الطبع بدون اعلان حتى انتهى الكتاب . فهالني المخزن  
وقد كدست فيه النسخ تكديساً . وانخلع قلبي لما قيل لى : ان « قلم  
المطبوعات » قد يصادر . . . رأيت كيف يغامر المؤلفون في مصر  
معتمدين على القضاء والقدر . وعلى المزاج الحكومى الذى اذا شاء  
« صهين » واذا شاء غدر ؟ ! هذه مشكلة جديرة بالعلاج ، ويحسن ان تمر  
المسودة على الجهة المختصة قبل الطبع ، حتى لا يصاب المؤلف بكارثة في ماله  
وفى ذهنه وانتاجه . . .

### نصيحة

انصح لكل مؤلف ان لا يعتمد على الاصدقاء وحدهم . وان يدبر  
اعلاناً ضخماً محكماً مأجوراً . وأن يكون دقيقاً في تحديد مواعيد  
الصدور والبيع واليمن ، دقة مضبوطة محبوكة الاطراف . عرفت  
بالتجربة أن « قرشاً واحداً » بين ثمن النسخة هنا وهناك قد يهدد كل  
البيع بالفشل . يجب أن يحتفظ الكتاب بكرامته وكبريائه ولو طال عليه  
الزمن ! . ولن اغفل بهذه المناسبة عن تسجيل شكرى إلى الصحافة التى  
جاملتى فلم تقبل اجراً . . . . . والتى جاملتى فقبلت أجراً استثنائياً مخفضاً .  
ثم لا أنسى أن أسجل شكرى العميق لصاحبى « الهلال » وملحقاته على  
الاذاعة العظيمة التى تكرمها فى مجلاتهما الواسعة الانتشار . هذا  
شكر عائلتى لن انساه . . .

## زملائى واصدقائى وبعض كبار الكتاب

أما « زملائى » الصحفيون فبارك الله فيهم جميعاً من مختلف الاحزاب ومختلف النزعات. لقد أكرموا كتابى الاكرام كله . ولقد راعنى اننى جوملت اكثر مما أستحق . فقد عنيت كل الجرائد وكل المجالات بتقريظه ونقده فساعدت بلا شك على رواجه . اما « أصدقائى » الذين طلبوا عشرات النسخ ووزعوها فى دقائق وساعات فسأقيم لهم حفلة تكريم إن شاء الله عندما أقبض ثمن الطبعة الثانية ! . . .

بقى بعض اساطين الادب فى مصر . ذوو الاسماء الفذة المعدودة . بعض هؤلاء لم يرد على اهدائى بكلمة ! ولم يعن بالكتاب ولا بصاحب الكتاب ! أؤكد ان كثرة العمل المرهق ألهتهم عن واجب الاشارة الهين المشجع . ولكنى والحق يقال توجعت وتألمت وتحققت من الفشل حتى قال الجمهور كلمته الحاسمة ، فنفتد الطبعة الاولى فى ثلاثة اسابيع ! . . .

## مائتا خطاب

وامطرتنى سماء الادب السامى مائتى خطاب من كبار الادباء والمحامين والكتاب والمستشرقين فى مصر والشرق . مجموعة هي عندى اعز ما أقتنى فى حياتى . ثروة أدبية طائلة سأنثر بعض دررها نثراً فى بعض الجرائد والمجلات عند صدور هذه الطبعة . فى هذه المجموعة دروس غالية ، وفنون انشائية غاية فى الدقة والابداع ، وبحوث اجتماعية

رائقة، وضروب من الادب العربي الفكه المسجون المكتوم الجدير  
بالاذاعة والنشر . . .

إلا أنى أحب هنا أن أشير الى الخطابات التي بدون امضاء . والتي  
ضمن مرسلوها باسمائهم بحجة ان الاسماء تضعف من قيمة اعجابهم  
وتقديرهم . تلك الطائفة المجهولة من الرسائل كانت أوقع في نفسى من  
غيرها . هي تشجيع برىء نزيه لوجه الله ولوجه الحق - في نظرهم -  
فلهم منى الشكر الجزيل . . .

أما الجنس اللطيف الباكي الحزين الذى وثق بالمؤلف فأفضى اليه  
بمشاكله وأوجاعه وخصوصياته ، واستشاره واستفتاه ، فليثق كل الثقة بأن  
رسائله فى حرز حريز وحسن حصين ، وان العلاجات التي وصفها فى  
ردودى هي كل ما فى جعبة تجاربي ، وأظن أنها لو اتبعت بشيء من  
الفلسفة لآتجت أثرها المنتظر بعون الله . . .

## النقد

أنحنى أمام « النقد » اجلالاً واحتراماً وأشعر من أقصى نفسى بأننى  
مدين للناقدن أكثر مما أنا مدين للمقرظين . . . قال بعض الادباء : ان  
« القصة » غير مرتبطة الاجزاء . هذا صحيح . ولكن فات الناقد العزيز  
أننى لم أقل ان كتابى قصة مرتبطة الاجزاء . هي تاريخ روائى « استعراضى »  
لشخصية واحدة . وفرق بين الاستعراض القصصى والرواية . . . وليعلم  
القراء أنه لم يبلغ بى الغرور بعد الى الاعتقاد بانى جدير بتأليف القصة  
كالمؤلفين الغربيين . . . هذا فن فى السماء وأنا لا أزال فى الارض . لقد

حاولت وأردت ان اجرب وان اطرق الباب فقط . وقد قنعت بقسطنطى المتواضع من النجاح فى هذه الناحية . فليتنظر الاديب الكريم الخطوة الثانية ...

وقال أديب آخر : إن لغتى تحتاج الى بعض « الرتوش » . وهو صادق فى هذا بل مجامل . لغتى لا تحتاج « للرتوش » فقط وإنما تحتاج الى « الترميم » . . . ودفاعى الوحيد اننى تعمدت وأتعمد هذا . أنا أكتب للشعب أكثر مما اكتب للخاصة . فان راق لهؤلاء أن يقرأوا فأهلا بهم وسهلا . أما اولئك فهم محل عنايتى واهتمامى . ويجب أن يكونوا محل عناية كل الكتاب وكل الابداء . أما الزمخشرى والقلقشندى وابن قرة وابن مرة والزيلعى والمهيلمى فلست من مدرستهم ولن أكون ! . . .

وقال أديب : اننى جريء أقترح النسائيات باندفاع . وهذا صحيح أيضاً . ولكن السينما فى القاهرة كل يوم تقترح النسائيات بضعف ضعف جراتى وأضعاف أضعاف اندفاعى . مع فارق واحد : ان « السينما » يقرؤها ويراهها الاطفال . وكتابى لا يقرؤه ولا يراه الاطفال ! . . . وقال محرر « المقتطف » الحكيم : اننى برهنت على خبرتى بالرجال ولكن خبرتى بالنساء قد لا تكون كاملة . وردى انه محق . ولكن من المستحيل ان يدرك كاتب غرائز النساء فهى لا تزال فناً غير مفهوم ! . . . وقال المستر « جرانت الكسندر » المحامى الانكليزى الشهير فى مقال نشرته « الاجبشيان جازت » : ان الكتاب مبك أكثر منه مضحكا . وهذا صحيح فقد كتبته من قلبى ومن وجدانى . وقد تظفر بالمضحك من لسانى لامن قلبى ولا من وجدانى . . .

هذه خلاصة الانتقادات وهذه خلاصة الردود . واعد حضرات  
الأدباء باننى فى المرة المقبلة سأكون حريصاً على أن أكون حريصاً . . .

☆☆☆

بقيت كلمة اخيرة أرفعها الى مقام الجمهور السامى . الى ثروتى  
الطائلة التى اعتزرت بها فى ماضى ، والتى سأعتز بها فى مستقبلى وإلى  
الابد . . . الى الجمهور الذى غمرنى بعطفه وبتشجيعه وباقباله . تلك  
الكلمة ، بل ذلك الوعد ، بل ذلك الميثاق هى اتى : لن أخون !!!

## فكرى اباطه

المحامى

ثروت



# الدمعة الأولى ! ...

نحن الآن في أغسطس سنة ١٩١٧ ...

وقد تخرج الاستاذ « شكرى ... » في مدرسة الحقوق . حاملا شهادة « الليسانس » . ولكن فرحه بها كان دون فرحه بلقب « أستاذ » . وهو لأول مرة يعنى بلبس « النظارة » كأنها من مستلزمات الفقهاء أساطين القانون . ويحمل عصا فاخرة تزن مشيته على قاعدة موسيقية ليس فيها نشاز . وتساعد على أن تبدو متثددة رزينة في نظر مخلوقات الله و « زبائن المستقبل » ...

والاستاذ « شكرى ... » لم ينس بتاتا أن يلبس ياقة امريكانية ورباط رقبة من نوع ما يلبسه الرسامون والممثلون وارباب الخيال ... هل أفلحت كل هذه الاستعدادات في أن تجعل من مواد خلقته « الحام » شيئا جميلا !

يقول الآ نسات والسيدات وأصدقاؤه الشبان ومعارفه الرجال :

كلا !

ويصر هو على أن يكون الجواب بالايجاب ...

على أن المشكلة لم تكن وليدة هذا الخلاف . بل إن أنكى ما نكب به هذا « الاستاذ » ان خصومه في جماله كانوا يجمعون على الاعتراف بأن « تقاطيع » وجهه منفصلة مجزأة مستقلة جميلة ... أى أن كل واحدة

على حدتها لا عيب فيها . ولكنهم يجمعون في الوقت نفسه على ان مجموعها ليس بالجميل . . . . . وكانت هذه النظرية غير مقبولة في نظره من الوجهة الحسائية والعملية : ما دام كل جزء جميلا فالكل جميل . . . . . كانت هذه قاعدة دفاعه وخطة مرافعاته . وكانت روحه المرحة تساعد على ذبوع شناعة خلقته . حتى تعدوا الحقيقة بمراحل فظلموه . . . . .

خريج المدرسة لا يعنى بالمستقبل اكثر مما يعنى بالعواطف ، . إنه قد أدى واجبه وقطع مراحل الدراسة وأصبح في مصاف الرجال : أول ما يصطدم به الخريج بعد عناء الدرس هو الحب ! . . . . .

خلا القلب من هم الجغرافيا والتاريخ والحساب . وخلا الذهن من هم القانون الروماني والاقتصاد والحجز على الاسهم والسندات . إذن في قلبه وذهنه فراغان فلتملأها « جوليت » و « ليلي العاصمية » و « كليوباترا » وغيرهن من مخلوقات الله الحسان . . . . .

وأخذ يبحث عن الحب فدلّه أحد اصحابه على المنزل نمرة ١٩ في « بنسيون » أرباً بقرائى أن أسميه . . . . . مالكم واسم « البنسيون » وموقعه والحب لا علاقة له بالقصور ولا بالاكواخ . والحب لا صلة له بالجوامع ولا بالكنائس ولا بالمواخير . الحب أنى وجد هو الحب ! له قدسيته في أقدس البيئات وأحط المغاور والحانات . له جلاله وعظمته في أحقر الشخصيات وأدنا الارواح والنفوس . الحب هو مرض ، هو جنون ، هو حمى ، هو شيء لم يدركه الاولون ولن يدركه الآخرون . . . . .

كانت الفتاة تسمى « ثروت » . وكان اسمها فذاً عجيباً ، ولغرابة الاسماء في بعض الاحايين جاذبية تضيف الى سائل العواطف نسبة معينة

من العواطف . . . ما عهدنا ان « ثروت » اسم يطلق على الفتيات .  
ولكن ما العمل واسمها « ثروت » ؟ ! .

☆☆☆

نظر اليها الاستاذ نظرتة البسيكولوجية . وسلط عليها أشعة فراسته  
فلاحظ أنها تبدو طبيعية في كل شيء . فهي لا تفرق في المجاملة كما يفرق  
فيها غيرها من محترفات الحب ومرترقة الالهواء . وهي لا تعنى بالحاضرين  
والذاهبين . ثم هي بين آونة وأخرى تصدر زفرة أو حسرة أو آهة .  
من أعماق النفس لامن الحلق . . . ثم هي لا تعنى أقل عناية بتواليات  
الوجه ولا باناقة الملابس . وكأنها بعد تعدد المقابلات حنت الى صداقته  
ووجدت فيه ما لم تجده في غيره من الرواد

وفي ليلة من الليالي اصطحب الاستاذ معه أخاه الاصغر . ولم يكن  
صغيراً للحد الذي لا يناسبه الاصطحاب وإنما كان في سن الشباب الناضج .  
فلما تم التعارف بينها وبينه قذفت الاستاذ بنظرة ازدراء رهيبة ثم همست  
في اذنه قائلة : ياها من سقطه ! .

قال الاستاذ بلهجة المحاكم : وإذا جاء وحده . ؟

قالت : تكون بريئاً من ذنبه ويكون بريئاً من ذنبك . احترامك  
فرض مفروض على أخيك الاصغر وقد تطوعت للقضاء على هذا  
الاحساس . ثم هبه يعلم فان التجاهل يقوم مقام الجهل فهيا انصرف في  
الحال وخذه معك ! . . .

☆☆☆

هذا الدرس الصغير وقع وقعه المؤثر في نفس صاحبنا فشرع بالتحجل

العادل المصحوب بالمنطق المعقول . وفي الزيارة التالية شكر لها نصيحتها  
فزادتها شرحاً بأن قالت :

« هب ان أخاك هذا مال الى . وهبني ملت اليه أنا الاخرى وعذرى  
واضح : فهو أصغر منك سناً ، وارشق قواماً ، واجمل تنسيقاً وتركيباً .  
هب ان الحب تمكن بيننا والحب لا يخضع لتقاليد ولا لآداب ولا لوفاء  
أو ولاء . هب اننا اختلسنا خباياه وخفاياه في غفلتك وشاءت الظروف  
أن تكشف الخبايا والخفايا . أى عداة تولده الغيرة وأى شقاء تنكب  
به الاسرة ؟! . . . »

قال لها : صدقت . . .

قالت : قل لاصدقائك إذن أن يحذروا ما وقعت فيه . قل لهم إن  
فتاة مجربة قد اصطدمت بمئات المآسى في حياتها القصيرة من هذا النوع  
ومن هذا القيل : مادخلت امرأة بين أخ وأخ ، أو بين قريب وقريب ،  
أو بين صديق وصديق ، الا افسدت عدلاً أو ظلاماً بين الاخ وأخيه .  
والقريب وقريبه ، والصديق وصديقه . . .

« المبادل من اصولها التستر فلا تعلنوا عنها ولا توجدوا لها شهود  
العيان . . . »

قال لها : قبلة اعجاب ! . . .

قالت : خذها فلعل فيها شيئاً من النبل والشرف وسط هذه  
الادران . . .



وفي ليلة أخرى طلبت « ثروت » الي صديقها الاستاذ أن يزورها

نهاراً . واختارت أن تكون المقابلة وقت القيولة أو قبل الغروب . فلما  
شرع دم الغيرة في الصعود الى شفوية وعينه وصدغيه لطمته على وجهه  
لطة طيبة ساذجة وقالت :

« اسمع يا صبي فلسفة الليل . الليل من شأنه التيهؤ والتزين والتصنع  
والشراب وحب الظهور . فأنت لا تظفر بحقيقة من تحب ليلاً وإنما تظفر  
بحقيقتها نهاراً ، الليل حياة مزخرفة معدة ، يودع فيه أمثالك وأمثالك  
حياة الجد والتفكير والتبصر ويهيمون في عالم هو أقرب لعوالم المسارح  
منه لعوالم الحقيقة . نحن وانتم نتنكر في الليل ونسفر في النهار . فان  
شئت أن تعرف من أنا وأن أعرف من أنت فواجهني في النور وحادر  
حذار أن تواجهني في الظلام ! . . . »

قال : لك هذا . . .

قالت : اذن الى اللقاء في حماية الشمس ! . . .



خرج الاستاذ بنظاراته ، وياقته الامريكية ، وعصاه ، يهتز غروراً  
ويقول لنفسه : لقد احبتي الفتاة . . .

« ومن حيث إنها أحبتي فيجب أن افكر في خيرها جيداً . . .

« ومن حيث انها في هذا الوسط فيجب انقاذها . .

واذ وصل الى هذه النقطة خطر له فجأة خاطر اسود فتوقف  
عن السير وقد اهتزت أعصابه وأخذ يتمم كالمحموم :

« لعلها ابتكرت حكاية النهار لتخلص مني في الليل ؟

« ولعل العاشق ذا الحظوة هو بطل الظلام ! . .

وتقهقر خطوتين أو ثلاث خطوات على نية العودة إليها « لاجراء التحقيق » ولكنه عدل واستمر الى مسكنه وقد استولى عليه سوء الظن وأخذ يناجى فراسته بخليط من المتناقضات ؟ فتارة هي سافلة منحطة ، وتارة هي تعسة كسيرة الجناح ، وحيناً هي مخادعة مخاتلة ، وأحياناً هي مجنونة طائشة ، ومرة أخرى هي « بنت الهوى » ولا أمان لبنات الهوى ، ومرة أخرى هي فريسة القضاء والقدر والحظ المنكود . . .

وخلع ملابسه حيث كانت الساعة العاشرة وبدأ النوم يلاعب أجفانه في الساعة الثالثة صباحاً . . .

ولا بد ان القارئ قد مرت عليه تجارب كهذه ، فلا داعى لذكر سخافات هواجس الارق وكشكول الخيال العجيب في مثل هذه الساعات . فلندع الاستاذ يقضى ساعات النوم القليلة قبل أن يحمل محفظته الى المحكمة ولنتكلم عنه فقد نسينا أن نقدمه على حقيقته للقراء . .



يذكرون عنه في طفولته من عهد الولادة الى عهد الفطام أنه كان لا يعرف البكاء . وكان ترتيبه الثالث عندما ولد ، فلما ترعرع قليلاً كان فريسة أخويه الكبارين . ولا تزال في جسمه آثار اللطم والضرب والعاهات الصغيرة التي تخلفها عادة مشاجرات الاولاد . ولم ينعم الولد الصغير بمجنين خاص أو عطف خاص أو حب خاص . بل كان في منزل أبويه « شيئاً » لا بد من تربيته والسلام . .

والامسة من بيت كبير وعيلة ضخمة الحسب عتيده النسب . وكان

من عادات الاسر الريفية في ذلك الوقت المأسوف عليه أن ترسل اولادها لمدارس القاهرة مستقرة في الريف مسقط الرأس ومصدر الرزق وعماد العصية والحيثية . كانت الاسر في ذلك الوقت المأسوف عليه لا تعرف إلا الحقل ، والجرن ، وموسم الحصاد وجمع القطن ، ولا تعيش الا مع اتباعها من الفلاحين الزراعيين

وكان الخير كثيراً لم تبدده كهرباء العواصم ولا لياليها الساهرة ولا سهراتها الزاهرة ولا مدنيتهما الساخرة الفاجرة . كان الاولاد في مدارس العاصمة يعيشون وخدمهم عيشة استقلالية علمية لا يفسدها الدلال على الام ولا التجنى على الاب الضعيف . وكانت عيشة من طبيعتها أن تكون خشنة غير ناعمة . وأكثر ما يفسد الفتيان في مستهل حياتهم ان تلحظهم النعومة بعناصرها المختلفة ، نعومة الامهات ، ونعومة الآباء ، ونعومة الملابس ، ونعومة المأكل ، ونعومة المصروف الوفير

كان القتي بطل هذا الاستعراض يعيش مع أخويه كعيشة الجنود في الثكنات مع الفارق . وكان والد الثلاثة شديد الرقابة يلحظ اولاده في الشهر مرتين أو ثلاث مرات . فيقوم بواجب الخنو وواجب الاعداد . ومن حسن حظ هذه الفرقة الصغيرة من تلاميذ المدارس أن قائدهم وهو أخوهم الاكبر كان قدوة كطالب للتعليم . دقيقاً في مواظبته وفي مطالعته . والعجيب في مشاهدات هذه الحياة أن الاخ الاكبر « كالأصل » تطابقه النسخ المطبوعة على غراره . فان كان فاسداً تبعه اخوته في الفساد . وإن كان صالحاً تبعه اخوته في الصلاح ..  
والخلاصة ان ولدنا الصغير نشأ نشأة مدرسية « مضبوطة » من كل

الوجوه . وكانت حلقات دراسته حلقات نجاح بارز أسمى بكثير من مرتبة « العادي » وأقرب بكثير الى مرتبة النبوغ ...  
غير أن الاخ الأكبر رغم عبقرية كتلميذ وكطالب كان فيما بعد قدوة غير حسنة في النسائيات . وهذا هو السر في أن استاذنا حين ترك المدرسة عدا عدو خيل السباق الى المنزل نمرة ١٩ في « البنيون » الذي لم أشأ أن أسميه . . .



ما دمنا قد عدنا الى ذكر المنزل نمرة ١٩ فلنستأنف اخبار مقابلات « النهار » فيه . . .  
الساعة تدق الثالثة بعد الظهر ...

والاستاذ في محل يلدز منهمك في شراء بعض الحلوى يحملها هدية متواضعة لصديقة النهار ... صديقة القيلولة أو قبل الغروب !  
وها هو يسرع بحمله الخفيف الى دار الحبيب . فاذا ما وصل لباب المسكن دق دقة أنيقة فانفتح الباب . . .

السكون حقيقة مخيم والشمس ترسل اشعتها الى داخل الغرف . وهذه « ثروت » تستقبل صديقها باسمه وتبادر فتأخذ هدية العاشق وتعطيه الثمن قبله ... ثم تلفت الى الشمس ضاحكة وهي تقول : الشمس مطهرة يا أستاذ وأشعتها تقتل الجرائم ...

وإذ تدخل غرفتها وتقلق وراها الباب ترتمي على سريرها وتشير اليه بالجلوس على كرسي بجوار السرير ...  
هل وصفت لك هذه الفتاة أيها القارىء ؟

انها سمراء اللون . والسمرة تختلط بقايل من الاصفرار الوديع ..  
شعرها الاسود الكثيف النامى الطويل تترك له حرته فيتدلى  
حيث يشاء بغير نظام ..

وجهاً دقيقاً أنيق التقاطيع ترسم عليه الطفولة والسذاجة فصيح  
في تحديد السن الصغيرة بغير الرجوع الى شهادة الميلاد ..

جسمها يستطيع حملها بسهولة وبغير عناء ..  
اما عيناها ففيهما كل السحر وكل الجاذبية . لا يستطيع ان اصفهما  
تماماً وإنما اقول بايجاز انهما من النوع « الغراز » ومن النوع الشفاف  
الذى يفضح ما وراءه وينم عما خلفه . من النوع الذى يكتب ويقراً  
وينطق بغير مداد وبغير لسان ..

والاستاذ « شكرى .. » له فى العيون قصائد فهو خير بالعيون .  
والفتاة على العموم صغيرة ، طفلة ، شىء يود العاشق ان يأكله ..  
وبين ضقتى الشعر تبرز خصلة نائرة عصبية لاتستقر على قرار .  
فهي دائبة على مداعبة الجهة بقوامها والعينين بطرفها . ورأس الفتاة  
يعانى من أحوالها الصبانية كثيراً . فهو دائماً أبداً متحرك حركة عصبية  
ليحول بين خصلة الشعر والجهة والعينين ..

هذه المخلوقة الغريبة تستقبل الاستاذ الوهان وعليها قيص عادى  
من نوع ما يرتديه الجنس اللطيف لنفسه ، وحده ، لا للمعجبين  
ولا للعشاق ..

وقدماها هاتان عاريتان . وهذه البودرة وهذا الاحمر لم يقوما  
بواجب استقبال الضيف العزيز ..

يستعرض الشاب هذه المظاهر في نفسه وقد استلقت هي على  
الوسادة وسبحت في جو الافكار ..

وطالت لحظة السكوت فحدق الاستاذ في عينيها واذا به يظفر  
بدمعة ! ..

— تبكين؟ ..

— ... ..

— ثروت ! تبكين؟ !

هذه دمعة أخرى . وهذه ثالثة . ثم هي تخفي وجهها بين الوسادتين  
فيقترب بيديه نحو وجهها فيمس ماء الدموع !

والشاب عواطفى فهو يطبع على ثغرها المبلل قبلة ولا يتالك ان  
يحكم قلبه الطيب فتساقط على وجهها من عينه قطرات الدموع ..  
واذ تحس الفتاة دموع الفتى تهض مأخوذة وتهتف بصوت  
خافت :

— تبكى؟ !

فيقول : نعم !

— ومن أجل؟

فيقول : نعم !

— ومن غير ان تعلم لم بكأى؟

فيقول : نعم !

فتحرق آسفة ثم تقول : يا لك من تعس !!

ثم تتناول منديلها فتمسح دموعه بعطف واسى  
ثم بغتة تستوى جالسة فى سريرها وتحدجه بنظرة نائرة ثم تشرع  
فى هذه الاسئلة :

— ما اسمى ؟

— ثروت ..

— كذب ! ... ما جنسيتى ؟

— مصرية ...

— كذب ! ...

وتمر فترة قصيرة من سكوت فى نظر الفتى طويل ..

\*\*\*

وتقفز الفتاة من سريرها وتتجه نحو الدولاب فتخرج ملفاً فيه  
أوراق . ثم تعود الى سريرها وتخرج صوراً فتوغرافية تحديق فيها تم  
تعرضها عليه : « وهذه صورة أبى . وهذه صورة أمى .. وهذه صور  
اخوتى .. وهذه صورة منزلنا فى « ارمينيا »

ويصيح « شكرى » بدهشة قائلاً : « ارمينيا » ؟ !

فتضحك ضحكة عنيفة وتقول : نعم ارمينيا . ألم تفهم للآن اتى

« أرمنية » ؟ ...

فيتتم هامساً : ثروت ! ..

فتقول : ثروت ! ..

ثم تمجش بالبكاء وقد قبضت على ملف الاوراق ...

وتنتابها إذ ذاك حركة تشنجية ثم يستولى عليها فجأة طاريء جنونى  
فتطوق بذراعيها عنق « شكرى » بشدة وقوة ثم تصيح فزعة مأخوذة  
وهي ترتعد ارتعاداً واضحاً : انقذنى من الوحوش .. انهم ذبحوه ! ..  
أتوسل اليك . انقذنى . جاء دورى . احمنى من السكين !  
وتظل عالقة ب عنقه والفتى قد ارتبك ارتباكاً ظاهراً فان تطوراتها  
السريعة المتتابعة لم تترك له الوقت الضرورى لاستعادة رزاقته . وإذ يشعر  
بالبرودة وبالدموع وبالهلح لايمك الا أن يبكى هو أيضاً . ثم كأن الفتاة  
قد تعبت من جراء هذه الثورة العصبية والجسمية والذهنية . فهي تستكين  
وتضعف وتلقى برأسها على صدره وتغمض عينيها ويזורها نعاس غريب  
عجيب . . . !



فى مثل هذه المواقف الشاذة التى ليس لها مقدمات يشعر الرجل  
منا بشعور الاطفال . فى مثل هذه المواقف يتصل الرجل منا بالله  
وبالقدر فيستسلم ! ..

وشاب « كشكرى » حديث العهد بالدنيا العملية ، قليل الخبرة  
بمآسى هذا الصنف من مخلوقات الله . لم يفعل شيئاً .. يحدق ويقبل ،  
ويقبل ويحدق .. وظلت هذه مهمته حتى أخذت الفتاة تستيقظ أو  
تفيق ، ثم « غادرت » صدره الى سريرها فأسرع الى « الكولونيا »  
وأخذ يدينها من فها وبذلك وجهها وذراعيها حتى نظرت اليه نظرة  
هادئة وقالت : أشكرك ..

قال لها : كيف حالك الآن ؟

قالت : أحسن ..

قال : أحتاجين الى طيب ؟ ..

قالت : مطلقاً .. كم الساعة ؟

قال : السادسة ..

قالت : اذن هيا . أسرع الى المكتب وأد واجبك وعد الى في القيلولة أو قبيل الغروب ..

قال : يستحيل على أن اتركك على هذا الحال ..

قالت : افعل ما أقوله ولا تناقش . إن حملى ثقيل . والمرأة التي يضحى لها الرجل من عمله وواجبه امرأة ان أحببت منه هذا العمل في البداية احتقرته في النهاية .. دعنى حالا . اتنى أريد ان اعد عدتى لليل فاذهب ..

قال : اهذه حقاً إرادتك . ؟

قالت : نعم وبلا تردد . إنما لا تنس الغد وأعدك بأن أكون صافية المزاج ..

والشاب لم يفق بعد من الدهشة فلا يسعه إلا الانصراف ولكنها تستوقفه باسمه وتقول :

— ان العشاق يقبلون عند الانصراف فأين قبلتك ؟

فيعود اليها « منفضاً الاوامر » ثم ينسحب بسكون فتعلق الباب وراءه وهي تقول :

« مسكين .. »

# تخييلات الطريق

هذا هو البحر الحضم الذي يرتطم بأمواجه وتياراته العشاق .  
والبحر فيه الصخر واللؤلؤ وفيه اللذة والخطر ..

يقول الاستاذ لنفسه :

« أولاً : البنت متعلمة ناضجة الحسنة تفهم الحياة أكثر مني ... »  
« ثانياً : إنها من بيت طيب بدليل الصور الفوتوغرافية لابيها  
ولامها ولاخوتها ولمنزلها .. »

« ثالثاً : إنها لا تزال زهرة يانعة فلم تمكث طويلاً في أيدي قاطني  
الزهور .. »

« رابعاً : إنها ذات آلام ودموع فلها سر أليم رهيب .. »  
« بناء عليه : هي جديرة بالحب رغم « موقعها الجغرافي » ورغم  
ظاهرها التعس .. »

وبعد أن يصل الاستاذ الى هذه النتيجة بعد ذلك التسلسل المنطقي  
البديع يعود فيقول لنفسه :

« أولاً : انها « ارمينية » ... »

« ثانياً : إنها سقطت والسلام . وكما سقطت أختها من قبل ،  
لها أب أرقى من أبيها وأم أفضل من أمها ، وإخوة أنبل من إخوتها ،  
ومنزل أكرم من منزلها .. »

« ثالثاً : ان الدموع ثروة النساء .. »

« رابعاً : مالى أنا وللأدوار العصبية ، والنوبات التشنجية ، وهذه الحالات الجبونية .. »

« بناء عليه : هي غير جديرة بالحب . وأنا جدير بأن أتفرغ لعملى وواجبى ومستقبلى .. »

وإذ يصل إلى هذه النتيجة بعد ذلك التسلسل المنطقى البديع تدركه سيارة من سيارات الاجرة وتقف فجأة وتطل منها « ثروت » فيرفع نظره إليها ببشاشة كبشاشة الاطفال فتقول له : كنت ذاهبة اليك فى المكتب لاعتذر اليك ولأكرر شكرى ولاذكرك بياكر فى القيلولة أو قيل الغروب فلا تنس ...

وإذ يحاول الرد عليها يجدها قد غابت بسرعة عن ناظره .. . وتزول من خاطره النتيجة الثانية بأسبابها وحيثياتها وتستقر الاولى فى الذهن ، وفى القلب .. .



فى مكتب أحد كبار المحامين يشتغل « المتر شكرى » كحمام تحت التمرين . وصاحب المكتب محام بارع ليس فيه إلا عيب واحد . أنه رجل كما يقول العامة « دغرى » .. . ولهذا كان صنف النساء من الزبائن لا يتمتع بالدلال اللازم فى المكتب . ولكن من عهد أن اشتغل به الاستاذ شكرى المحامى الناشئ « المدرج » اختص بقضايا النساء وبمقابلة النساء .. .

والمكتب له زبائن من كل الطبقات . وبالاخص الطبقات الراقية . وعلى هذا كان المحصول النسائى الراقى وثيراً . من كل سن ومن كل

فن . . والاساذ شكرى يتأثر بالقدوة إلا عند ما تخالف سليقته وطبيعته . فهو أيضاً « دغرى » فى عمله كاستاذه الكبير . يؤديه أكمل الاداء . ولكنه كان ظريفاً خلافاً مع السيدات فى المكتب بحكم سليقته وطبيعته . وكان سعره فى هذه السوق رائجاً . .

وكان من الممكن أن تنشأ عواطف وأن تتمكن عواطف . وكان من الممكن أن يتخير المحامي الناشئ حباً راقياً . أو زواجاً راقياً . ولكنه كان أسير الفتاة القاطنة فى المنزل نمرة ١٩ . . ومن هذا تعرف شيئاً من خلال وغريزة هذا المخلوق الغريب . وأزيدك بياناً فأقول إن الشاب ديمقراطى متطرف . وسترى فى الحلقات التالية كيف تكونت عقيدته السياسية ضد الحكم وضد الحكومة وضد الاعتدال وكيف لعب دوراً له قيمته فى فترة وجيزة فى خضم الحياة العامة

إذن كانت « ثروت » الساقطة فوق الجميع . فوق الجمال الفاتن ، فوق الطهر المفروض ، فوق الحسب والنسب ، فوق الثروة والجاه ، فوق حاضر الشاب ومستقبله . .

وأنت إذا استطعت أن تناجى دخيلته عن السر فى هذا الشذوذ وفى هذا التعصب لاجابتك دخيلته اجابة حازمة جازمة : انه من أجل الدموع ومن أجل الآلام . .

والشاب رغم مزاياه النفسية الروحية من أسرة كبيرة اسمها وحده رأس مال كبير . ولكنه رغم ذلك كان بطبعه عدواً للارستوقراطية . وعدواً للنعيم ، وصديقاً وقيماً للبؤس وللشقاء . .

شئت أن تقبل هذا أم لم تقبله فنحن لا ندافع عن الفتى ولا نرسم

لك المثل الاعلى مستمداً من شخصيته . وإنما نرصد الواقع ونحلل ناحية من نواحي مخلوق من مخلوقات الله ..

وها هو يستقبل في غرفة عمله بالمكتب نماذج الجمال ، ونماذج الحرير الناعم ، ونماذج الماس الحافظ للابصار ، ونماذج التهذيب والثقافة النسائية ، ولكنه رغم كل هذه المغريات والمحرضات لا ينسى أنموذجه الوحيد : قاطنة المنزل نمرة ١٩ ..

مثل هذه الحالة العقلية الشاذة يزيد بها شذوذا الاعتداد بالنفس . ومحامينا الناشء كان معتداً بنفسه - لدرجة تقرب من درجة الغرور . فكان من المستحيل ان تضمن له الشفاء . وكان من المحتم ان تتركه لمشيئة الاقدار

.....  
لا تتعجل تفاصيل المقابلات النهارية . فقد وعدت الفتاة الغامضة صديقها في اليوم التالي أن تكون صافية المزاج . وقد برت بوعدها فكانت مقابلة ثم كانت مقابلات . ولا يعني ان ندون هنا التافه من أمرها وأمره . وإنما يعني ان نذكرك بتلك المفاجأة الحادة التي بدأت بدور عصبي عنيف ثم انتهت بغفوة أو اغماءة على الصدر . ولعلك تذكر أيها القارىء ان السبب الظاهر كان عرضها الصور الفوتوغرافية على صديقها وبالاخص عندما كشفت له الغطاء عن جنسيتها فعرف أنها « أرمنية » ، وعن اسمها فعرف أنه ليس « ثروت » . وقد فانتا أن نذكرك أنها لفظت اسم « ثروت » في الوقت الذي كانت تخرج فيه من ملف أوراقها وتذكاراتها صورة فوتوغرافية لضابط وسم جميل ،

وشلت النوبة العصبية يدها عن هذه الصورة الفوتوغرافية فبقيت في مكاتها ثم كان ما كان ..

## تاريخ ...

« ج . ابيكيان » سرى من سراة الارمن في القسطنطينية . والارمن في استامبول لهم مكانة اظن دعامتها الاولى هي المال ثم الثقافة . وللرجل بنت وحيدة وإخوة أشداء أقوياء بحسب والدم وبجثياتهم في المجتمع . والفتاة الوحيدة كانت مدللة عنى والدها بتعليمها وبالطواف بها في عواصم أوروبا . وكان الرجل كثير الحب لها يصطحبها في غدوانه وروحاته وزياراته . وكان لا يفغل عن زيارة السفارات والقنصليات التركية في البلاد التي يحل بها حسب العادة المتبعة والواجب المتبع . وفي « باريس » تعرفت الأسرة بضابط تركي يغلب على الظن أن له اتصالاً بدم مصرى . والسن تجذب اليها السن وخصوصاً في بلاد الغربية بين المواطنين . ونقول لك باختصار ان نوعاً من العاطفة « الطفلية » الابدجية نشأ بين الفتى التركي والفتاة الارمنية . والفتاة الصغيرة من كل جنس ومن كل لون ومن كل بيئة حين تظالع في كتب الحب لأول مرة ألفه ، وباه ، وتاه ، تحتفر هذه الاحرف في قلبها مخبأها فيختلط بها لحم القلب ودمه حتى تصبح جزءاً طبيعياً من اجزائه . ألم تلعب في نشأتك مع صبية صغيرة لعبة من العاب الاطفال في شوارع الحى وحراراته ثم نبت بينك وبين الصبية نبات صغير ؟ سمه ما شئت أن تسميه : صداقة . ميلا . استلطافاً . عشرة . ثم تركت الحى صيباً

وافترقتما ثم مرت الايام والشهور والسنون ثم مر جيل ثم جيل ثم شامت  
صدف الاقدار ان تجمع بينكما فى تلفون ، أو فى طريق ، أو فى مكان  
وقد لبرتما وخبرتما الدنيا ولكل منكما تاريخ ؟

ألم يحصل لك هذا ؟ ثم ألم تشعر عند المقابلة ان الذكريات تدفع  
بالذكريات . وان ذكرى الصبي تكشف رويداً رويداً عن النبات الصغير  
فاذا به ينمو ويترعرع ويشتد فى لحظة . ثم اذا بثمرته تصعد من القلب  
إلى الشفتين فترتسم قبلة ! ؟ ..

ثم اذا بالقبلة تلد عاطفة . ثم إذا بالعاطفة تلد حباً ؟ !  
هذا ما أسميه الحب المبعوث . .

ثم من العدل أن نعرف بأن حب الصغار هو أوفى أنواع الحب  
وأصدق أنواع الحب وأنبل أنواع الحب ! . .

ولم تكن فتاتنا الارمنية ولا صديقها الترى صغيرين لحد التصوير  
الذى صورته لك فى استشهادى . وإنما أود أن أقول ان الحب بينهما طرق  
الباب فى « باريس » ثم مرت الايام والشهور فلما تلاقيا فى « الاستانة »  
انفتح الباب واستقبل الضيف العزيز بكل ترحاب وبكل سرور . .



وشهدت متزهات « استامبول » وفردوس استامبول وجنان  
استامبول مشاهد هيام تستحق التحليل والتسجيل . ولكنى اخشى  
أن ينسى القراء بطلهم المصرى فى هذه القصة فأنا أستميحهم عذراً وأمر  
على الحوادث مرأً سريعاً . .

دق نافوس الدمار والحراب فى « تركيا » وانفجرت قبلة الرعب

والذعر فاذا بها تعلن اشتراكها في الجريمة الانسانية الكبرى : الحرب  
العظمى ! ..

لم تكن علاقة الفتاة بالفتى مهددة فقط بتنافر الدم ، وتناقض  
الدين ، ولم تكن مشكلة الارتباط الشرعى الطاهر بينهما هى مشكلة  
هذين العنصرين ، فهما من الذين يرون أن الحب هو الدم وهو الجنسية  
وهو الدين . وإنما كانت النكبة النكباء أنها ارمنية وهو تركى ! ...  
والعداوة بين العنصرين قديمة التاريخ ...

وزادتها الحرب تمكناً وتأسلاً فأخذت بالفعل مظهراً من مظاهر  
سفك الدماء ...

وحين أنذر الفتى الضابط بالاستعداد لتلبية نداء الوطن فى مختلف  
الميادين . وحين تحقق لديه أن ساعة الفراق أوشكت أن تدق دقاتها  
الألمية . ارتفع فى مجرى قلبه وقلب صديقه منسوب الحب وفاض .  
والحب من شأنه الشجاعة والاستهتار ومن شأنه رغم كل احتياط أن  
يسفر وأن يتجلى ...

وكشفت العين الارمنية الغدارة الجيارة المتطيرة الشرر الحاقدة  
ملتقى العاشقين فلم تغمض الجفن بل اندلع منها لهيب النار ...  
وفى عصر من « عصارى » اللقاء وقد أخذ قرص الشمس يودع  
النهار هرولت الفتاة إلى مكان اللقاء فى الضواحي الحنونة الحساسة التى  
تشمل العشاق بمجايتها . وتحول بينهم وبين الانظار ... هرولت وكانت  
قد اعتادت أن تظفر بصديقتها فى الانتظار . فراعها أول ما راعها أنه  
ليس هناك ... هتفت فلم يهتف أحد ... وتوارى قرص الشمس

فقصدت الى شجرة اعتادت أن تركن إلى جذعها هي والصديق  
المتخلف . فاذا بها تصطدم بشيء فتسقط على وجهها . ولكن لم تلمس  
شفاتها الارض وإنما لمستا . . .

... لمستا شفتي الضابط المذبوح !!!

وكانت قبلة الوداع ممزوجة بالدم الاحمر القاني ومصحوبة بصرخة  
هي أشقى ما عرف التاريخ . . . . .  
... ..



في الغرفة عنها

وفي القيلولة وقبل الغروب

وقد جلست الفتاة على ركبتي الاستاذ وطوقت عنقه بذراعيها  
تبكي بكاء مرأ هادئاً ذليلاً وقد حرقت أنفاسها وجهه بنارها وسعيرها .  
كانت تروى له الواقعة التي رويناها لك من أول « ج . ايكيان »

حتى قبلة الوداع

وكانت دموعه هو تجارى دموعها هي

وخيم سكون عميق

وقطع الاستاذ السكون بقوله : كفى وحسبك !

قالت : وماذا بقي ؟

قال : لا شيء

قالت : أعرفت من كانت الفتاة الارمنية ؟

قال : لعلها أنت !

قالت : نعم !

قال : ومن كان الضابط المسكين ؟

قالت : كان « ثروت »

هنا فهم الاستاذ انها لم تحمل من ذكريات الذبيح إلا رسمه

واسمه ! ..

وهنا أدرك لم انتهت مأساة التشنج الاولى في أول مقابلة بقولها :

« أنهم ذبحوه . جاء دورى . احنى من السكين ! .. »

قال وقد لمعت عيناه لمعة البطولة والمروءة : هل لا تزال تطاردك

السكين ؟ ؟

قالت : بالله لا تذكرنى بتاريخ المطاردة وأهوالها وشقاها . كانت

نهايتها هذه البؤرة وهذه المقبرة ! ..

قال : ان فى مجال الاصلاح لمتسعاً للجميع ؟ ..

قالت : هيات ! ..

قال : عدىنى ..

قالت : انى لا أعد . انى نذرت نفسى للشقاء ولدموع ! ..

قال : انى أعشق دموعك . فهيا هيا نستروح فى الهواء الطلق

ونحاول النسيان ...

❦ ❦ ❦

وكانت نزهة مسائية لعب أكثر أدوارها الصمت الطويل والتفكير

الطويل ..

وامتازت بظاهرة أدنى وصف لها أنها عفيفة ..

ولعل الذكريات الاليمة والحوادث العنيفة ، والموقف الجدى الذى  
تمخضت عنه هذه الذكريات والحوادث - لعل هذه العناصر الثلاثة قد  
رجعت بالفتى وافتتاة إلى العهد العذرى الخيالى البرىء  
ونحن الآن فى أواخر سنة ١٩١٨ ..

والقاهرة وضواحيها مزدهمة بالمساكر الانكليزيين والاوستراليين .  
وغريب ان يرد ذكرهم فى هذه اللحظة ..

سلوا « ثروت » المسكينة فهى سبب هذه المفارقات ..  
سلوها : لماذا تضطرب حين تلمح وجهها « أوسترالياً » ؟  
فهى تجفلس فجأة وتلتصق بصديقها التصاقاً وعيناها زائغتان  
فزعتان ...

سلوها : لماذا تقترح على صديقها بالحاح أن يبعد بها عن وجوه  
وسحن « الاوستراليين » ؟ ؟

لم يجد الاستاذ فى أول الامر ما يلفت النظر من هذه الناحية ...  
فهو نفسه عانى كثيراً من رذالة « الاوستراليين » وتحكك  
« الاوستراليين » وتعدى « الاوستراليين » ولئن أحس « الرجل »  
بالاشمئزاز منهم « فالمرأة » أولى بهذا الاحساس ..

ولكنها بالغت فى الجزع . فقال لها :

— أتكرهين الاوستراليين ؟

قالت : أخشاهم ..

قال : ولهذا الحد ؟

قالت : نعم ..

قال : ولم ؟ خبرني !  
قالت : لم يأت الاوان ..



عندما يكشف الرجل العاشق في المرأة المعشوقة - وخصوصاً  
من هذا الصنف - بطريق الصدفة أو بحكم المعاشرة الطويلة ، خلة  
نبيلة ، او تاريخاً حزيناً ، أو ناحية مظلمة ، تنبعث من أقصى نفسه  
عواطف طيبة فياضة ..

« شكري ، محام من ذهنه نهائياً صورة المرأة قاطنة « البنسيون »  
بالمنزل رقم ١٩ ..

محام من ذهنه نهائياً صورة « الليل » وانطعت فيه صورة النهار :  
« في القيلولة أو قبل الغروب » ..

أو قل باختصار محام من ذهنه صورة « ثروت » وأحل محلها صورة  
الفتاة الارمنية كريمة « ج . ابيكيان » ..

وخريج المدرسة في مستهل حياته « التجريبية » في هذه الدنيا  
المتلاطمة الامواج يعتربه ويعترى زملاءه وأقرانه في السن وفي التجربة  
نوع من حمى الخيال والفلسفة الساذجة والمشاعر الانسانية ..

هذا « المصلح الاجتماعي » الصغير توكل على الله وصمم ان ينشل  
الفتاة الضائعة ..

ها هو يقرأ معها الجرائد والمجلات والكتب ويناقشها في علم النفس  
وفي السياسة وينتقل بها من بحث فني ، الى بحث صناعي ، الى بحث ادبي .

فاذا سألته : لم هذا العناء ؟ أجابك : أريد أن أبعث استعدادها من القبر  
الذى دفن فيه ..

وها هو يزوج بها في أوساط راقية فيطوف معها الحفلات الخيرية  
والاجتماعية الادبية العلمية . فاذا سألته : ماذا ترمي بهذا ؟ ؟ أجابك :  
— أريد أن أذكرها بوسطها الماضي وأبعدها عن وسطها الحاضر ..  
ثم ها هو في ذات يوم من الايام يفاجئها بهذا الاقتراح الطريف :  
أن تمضي معه أسبوعاً في الريف ؟

## في الريف ...

من العدل أن نقرر أن القتي نجح نجاحاً ما في أساليبه الإصلاحية هذه . لقد أخذ رونق الفتاة « النظيفة » يسطع على وجهها وأساريرها وأخذ يسود حركاتها وأحوالها وأخذ يطارد ظلام « البنسيون » الذي لم أشأ أن أسميه ..

وفي عزبة من عزب الريف تزل الصديقان في ضيافة أحد أقارب الاستاذ الاعزب . فترك لها العزبة لينعما منفردين لا يعكر صفو وحدتهما مخلوق ..

ويا للدهشة !؟

ان « ثروت » الماجنة طريفة العيلة ربة منزل لا تجارى : تجيد الطهي والسكى وقد حملت أدواتها الصغيرة ونسيجها تصنع « جرسى » لصديقها العزيز ..

وها هي تجمع نساء القرية فتجري عليهن الاحسان . وقد سحرتهن سحراً أخذاً بظرفها ودعتها . فهن عند اللجاج لا يقسمن الا باسمها ولا يحتكمن الا لحكمها وأمرها ..

وها قد تطورت « ثروت » الماجنة فهي في الصباح الندى . وهي في الليل البلبل الغرد . وهي النشطة المتعشة الصحيحة . وهي في أسبوع الريف رمز السعادة في كل حال !

ولما دنا موعد الرحيل بكت البكاء الامر وكأنت ساعة السفر ساعة النواح . وقد تظاهر نساء القرية يودعنها بالدموع وبالذعوات الطيبات ؟ ..

وفي القطار همس « شكري » في أذنها :  
— أسعيدة أنت ؟

— .. لدرجة الخوف ، دعني أشكرك ؟  
ثم أخذت تقبل يديه من شدة السرور وتقاطرت من عينيها بعض  
الدموع !

## ربما . . .

ان ذكرى الرحلة الريفية كانت أبدأً منطبعة في ذهن هذه المرأة الصغيرة ، وكان يلذ لصديقنا «شكري» أن يسمع عبارات الاعجاب برحلة الريف من فمها الانيق . ولكن المسألة لم تكن في نظر « ثروت » مسألة ذكرى وإعجاب فقط ، بل كانت أبعد مرعى ، وأدق مغزى . . . .  
كانت تتكلم عن الريف بحماسة غامضة . وكانت تسأله عن عزبة والده في الريف بنزق وفرح ثم تعود وتغمض عين الاسى بذل ومسكنة وحسرة ؟؟

من العسير على الكاتب القدير أن يحلل هذا الطائف الطارىء على خاطر الفتاة . وبقدر ما تملك كفاءتنا الكتابية في التحليل نحاول هنا أن نفرض عدة فروض : هل كانت الفتاة تهرب شيئاً رهيباً في القاهرة فهي تذكّر الريف وتحن الى الريف ؟ ربما . . . .  
هل بعث الريف من ماضيها شخصية الفتاة الصغيرة الكريمة النقية العاشقة فودت أن تعود سيرتها الاولى ووجدت من نفسها كريمة « ج . ابيكيان » ومن الاستاذ الضابط ثروت !؟ ربما . . . .

هل خطر لها خاطر الزواج من « شكري » ولكنها استدركت  
فقااست البعد بين مستواه الحاضر ومستواها الحاضر؟ ولمست بيدها  
الباب الفولاذى الضخم الذى يحجب بين دنياها المفتوحة وبيته المصون  
المحروس؟ ربما... .

من أتعس الخواطر التى تمر على أذهان هذا الصنف من فرائس  
الحياة أن يفكرن فى الزواج من عاشق أو من محب وهان. ولذلك يمر  
الخاطر بسرعة البرق وتمحوه آية الليل؟ ... .

## آية الديق ! ؟

آية الليل عند صاحبتنا « ثروت » وقد آن أوان الانفصاح والايضاح .  
كان ضابطاً استرالياً خشناً يمتحماً بابها لا فى « القيلولة أو قبل الغروب »  
كما كان يفعل « المتر شكرى » وانما فى الليل ..

و « شكرى » المحب الفيلسوف المصلح عاشق الدموع كان من  
صنف العشاق الذين يحترمون الخصوصيات ويقدمون الخصوصيات  
والذين يأنفون أن يتجسسوا أو يتحروا أو يفاجئوا . وهذه ناحية من  
نواحي الحب تستحق هى الاخرى التحليل : ان العاشق الذى لا يتجسس  
ولا يفاجئ ولا يبحث لا يفعل ذلك عن غفلة أو نبل أو كرم اخلاق ،  
وانما هو يشفق أن يبحث .. فيكتشف ... فيتألم فيثور ... فتقطع  
علاقة الحب ؟

لذلك هو يغمض العين متمعداً ، ويسد الاذن متمعداً . وان كان  
إحساسه الحساس يقوم مقام العين والاذن سواء بسواء  
حدس العاشق لا يخطئ . وانما قلبه الطيب الفياض بالحب يطغى  
على عقله وعلى بصره فهو يغفل أو يتغافل . ويعمى أو يتعمى . ويتعقد  
موقفه ويصعب ان كان عشقه من نوع هذا العشق . ولم يكن يملك  
بوسائله حقوق العشاق المستأثرين ...

أو بعبارة أصرح : هل يتولى «شكرى» الضعيف الموارد الانفاق ! ؟  
اثنى كان يفعل كان صاحب السلطان على كل النواحي . وان كان لايفعل  
فبأى حق يتلصص ؟

هذا هو العذاب بعينه : محب محبوب ولكن غير قادر !  
اذن عليه أن يحسن الظن وان يقبل المبررات وهو صاغر . فان  
أارت كرامته ونخوته وجب عليه أن يكتم حبه ، وأن يسحق قلبه ، وان  
ينسحب من الميدان

## بطل الظلام ! ...

« وثروت » هذه ماذا كانت مع بطل الظلام ؟  
ظفر بها في غير مصر فأحبها ومن حق كل مخلوق أن يحب .  
التقلها من الدنيا شريفة . طريفة . منكوبة . فظللها بحمايته ورعايته .  
وطاف بها في كل مكان به طاف . ووقعت في محال المرض مرات  
فكافح بمرورته ونخوته محال المرض وأنقذها مرات . وبكى لها وبكت  
له فأحبها عشقاً ، وأحبته وفاء . والبنت من أصل طيب فهي لا تغدر  
وهي لا تتنكر للأوفياء ...

حتى اذا هبطا مصر عاشرتة وساكنته ، ولكنه انتدب لمهمة عسكرية  
في غير مصر فودعها على أن يعود ، انتهت الحرب أو لم تنته . فقرت  
بالمزل رقم ١٩ في مسكن أنيق ...

وبرز « شكري » في نهاية فترة الغياب فأحبته الفتاة . ثم عاد الضابط  
الاورستالي فوجدت نفسها بين نارين : نار الحب . ونار الوفاء ! ..  
أفهمت كيف قسمت بينهما قسمة عادلة فحفظت لصاحبنا وقت  
القيولة أو قبل الغروب . وحفظت لصاحبنا الآخر وقت الظلام ؟ ...

أفهمت كيف كانت تفزع لرؤية الاوستراليين وذكري الاوستراليين  
وكيف كانت تسأل: أتكرههم؟ فتجيب: أخشاهم؟

أفهمت كيف نعمت برحلة الريف وسعدت برحلة الريف وكيف  
لمحت بذل وانكسار الى أمانة الاستقرار بالريف؟

ويل المرأة الطيبة إن أحبت غراماً - وأحبت اكراماً ...

ويلها ويلها ان اعطت لهذا قلبها - ولذاك ضميرها ووجدانها ...

ويلها ويلها من معركة القلب الحساس - مع النفس الحساسة ...

أيهما تقتل: أهي العاطفة - أم الواجب؟

أيهما تقصى: أهو المحبوب - أم المنقذ؟

يقول بعض المتطرفين في أصول الهوى إن الموقف لا يحتمل التردد

فالحب أقوى المشاعر. وهو يكتسح ما عداه ويتقارب على سواه! ...

وعندي أن البت برأى غير معصوم من الخطأ. عندي أن المسئلة

نسبية يرجع الحكم فيها الى استعداد المرأة وكإلها أو نقصها، وعندما

أقول الكمال أو النقص إنما احصره في دائرة ضيقة. وفي المرأة الساقطة

كمال وفيها نقص. فيها ناحية مردولة، حكمها حكم سواها. وفيها ناحية

طيبة، جديرة بالاجلال على كل حال ...

المرأة في هذا الموقف جد تواقفة الى الابقاء على الخصمين المتنازعين

والمغرمين المتنافسين. وهي وشأنها وسرها في توزيع الحب على هذا

والوفاء على ذلك ...

دعني من الحكم العام الذي قد تراء والذي قد لا اراه. اني

انقذك وأنقذ نفسي من هذا الحكم النفساني فأقول ان «ثروت» كانت

عادلة . فهي لا تود ان تضحي بهذا ولا تود ان تضحي بذلك ؟ !  
ولكن ما العمل اذا كشف أحد المتبارزين موقع خصمه ومزاحمه ؟  
ما العمل اذا تصادما وارتفع الستار ؟ .. !  
ما العمل اذا طلب اليها بلهجة الحزم والجزم ان تختار ؟



وقد تصادم العاشقان فوقعت الفتاة في الفخ ..  
وتخلى كل منهما عنها ...  
وفترة تخلى العشاق فترة أليمة على العشاق وعلى المشوقين ...  
والفتاة فيها شيء من الكبرياء فصمدت للصدمة حتى تفكر وحتى  
تبت ؟

ومن حق هذا الضابط أن يثور . فهو رجل بمعنى الكلمة . ضحي  
لها وأنفق عليها وحماها ورعاها . ففي الموقف عنصر عنيف من عناصر  
الجحود ...

وقلنا فيما مضى إن الحب هو حمى ، وإن الحب هو جنون . وهل  
يرضيه أن يعلم بأن الفتاة لا تجرده ولا تنتكر اليه . مادامت لا تجبه ؟  
والحُب أناني : يريد أن يستولى على القلب والجسم والعقل والذهن  
والنفس والحواس جميعاً . ويأنف أن يظفر بنصيب وان يظفر غيره  
بنصيب ...

الحب يمقت الشركة ويأبأها ...  
ولئن قبل الشركة فإن تكون رجولته ؟  
أضف الى عناصر هذه النار المشتعلة في صدره أنه ضابط . أنه

جندى وعسكرى . ولرجال الجندية والعسكرية اعتزاز بالكرامة  
لا يدانيه اعتزاز . الشرف العسكرى عنصر يمتزج بكل دور من أدوار  
حياتهم . فى ميادين الحرب كما فى ميادين الحب . اذن لا بد من موقعة  
فاصلة فلنتظر كيف تكون . . . . .

## خذلان . . .

أما فتانا « شكرى » فكانت صدمته لا تقل عن صدمة الضابط  
عنفاً وقسوة . هو يجهل التفاصيل ويعلم فقط أنه كان مخدوعاً وانها  
كانت ولا تزال تحب سواه

اذن واخجلناه من زيارة القيلولة أو قبل الغروب !  
واخجلناه من الدموع الجارية على وجهه وعلى صدره !  
واخجلناه من رحلة الريف وهناء رحلة الريف !  
واخجلناه من ذلك الحيان الراقى الذى رسمه فى ذهنه للفناة العسة !  
ثم واحسرتاه على تفويته للفرص التى ولت وادبرت . . .  
واحسرتاه على أنه زل وسقط فى احضان فتاة ساقطة . . .  
اذن سحقاً للحب الراقى وللحب الوضيع . . .  
ولكنه يجب ! . . .

اذن فليفكر طويلاً . وليك بكاء ممزوجاً بالحجل من البكاء ! . . .  
على انه وسط هذه اللعنات يراجع ضميره فيقول : لاشك أنها  
تعسة منكوبة . ولئن كانت تحب سواه فهل يمكن أن يكون الحب محل  
مؤاخظة أو يمكن أن يكون جرماً وجريرة !؟

وبأى حق يطالبها بقلبها . وما هو الثمن الذى أداء ؟ !  
أما يرضيه أنها ترتضيه ؟ ..  
إنها ظريفة لطيفة لا تكرهه . وانها تسمح له بأن يتلقى الدموع  
وأن يتلقى الاسرار ؟ !  
ولكنه يجب !  
والمحب أنانى ..  
فلم تخدعه . ولم تغرر به . ولم تستهويه ؟ !  
الانسحاب هو نعم الجواب ..  
وليقنع بالتجربة الاولى فى عالم الغرام ..  
ليأخذ منها عظة ودرساً ..

ولكن نقطة واحدة تمس رجولته ، منافسه من جيش الاحتلال  
او من جنس جيش الاحتلال . فى الموقف عنصر من عناصر الجبن  
والتقهقر . فتظن الفتاة ان الانسحاب هو بمثابة فرار ؟ !  
لا !

اذن فليطور هذا الخذلان العواطفى بالنعرة الوطنية السياسية ،  
وليلع الفتى بشره بذرة الثورة ضد غاصبي وطنه ، وغاصبي محبته ،  
ولتبت هذه البذرة نباتها ، وترسل شجرها بأغصان وفروع تصلح  
فيما بعد وقوداً وناراً !!!



ومرت أيام وليال والفتى يقتحم الاوساط السياسية فى بلده ، وكانت  
ناثرة لقضية الوطن . وكان من فرط ثورته لا يروقه الاعتدال ولا اللين

ولا المرونة . بل كان داعية من دعاة التطرف الذين لقبهم مواطنوهم  
بالخياليين المجانين ١١١

وكان استعدادة الذي مهدنا له في الفصول الاولى يناسبه هذا  
التطرف بعد هذه اللطمة ، بحيث كانت فتيلة اشعل القنبلة الدفينة في  
أحشائه فانفجرت ودوت دويماً . . .

واطلت سنة ١٩١٩ بوجهها اللعين على مصر البائسة ، وكانت قد  
اكتوت بنار السلطة العسكرية من مصادرة مواطنيه الأدميين وسوقهم  
قبل ذلك الى ميادين الردى ، ومن مصادرة ارزاقهم بأجنس الأثمان . . .  
ووجد الفتى من هذا الخضم السياسى الذى غمره ما رفه من آلامه  
نوعاً ما ، وان كانت فترات القيلولة أو قبل الغروب تقترس قلبه كلما  
مرت الذكرى وتجلت الحواطر

هذه مواقف الثلاثة شرحناها وحللناها بايجاز وغموض

... ..  
... ..

## ترجيح ! ...

في الساعة السابعة من مساء يوم من أيام فبراير سنة ١٩١٩ دخل  
« عم عبد الله » فراش المكتب على الاستاذ « شكري » فقال له : ان  
سيدة بالباب !

ورفع « شكري » رأسه من الدوسيه الذي يمدق فيه وأذن بالدخول  
بغير اكرتارث

الزائرة فتاة شاحبة يلوح على وجهها شيء من الاصفرار. واصفرار  
الآلام او المرض نوع بديع من انواع الجاذبية والجمال

تقدمت الزائرة بخطوات مضطربة مرتبكة . فنهض القى مهتماً يستقبلها  
بأدب وشجن ثم همس قائلاً :

— ثروت ؟

أجابت بيروود : هي انا . . .

قال : تفضلي . . .

قالت : عندي حديث طويل أو قصير . والمكتب لا يناسبه

قال بدهشة : أنخرج سوياً ؟ !

قالت : ممكن

قال : اذن اجلسي وانتظري قليلا

وأتم « شكري » عمله ثم استأذن استاذاه وأشار اليها بأن تسبقه على

الباب ثم لحق بها وركبا مركبة صامتتين والسائق يسوق الى الامام وهو  
لا يسأل وهما لا يرشدان

وتنهت الفتاة قبل ان يتنبه القتي فقالت : الى اين ؟

قال بضعف : الى حيث تشائين

قالت : أقترح ان نذهب الى حلوان

قال : أمرك ...

وأمر السائق بأن يتجه الى باب اللوق

وركبا القطار ووصلا الى حلوان وسارا على القدمين حتى ظفرا

بمكان خال في قهوة خالية من الناس فجلسا

قالت بلهجة الجد : انى جئت اندرك !

فقال بلهجة التهكم : مشفقة أم كارهة ؟

قالت : بل مشفقة ...

قال : على أم عليه ؟

قالت بلهجة صادقة صريحة : عليكما معاً !

قال : اذن نحن شريكان ؟

قالت باللهجة عينها : نعم !

قال : امقت الشركة ، وارفض الانذار !!!

☆☆☆

سكتت الفتاة هنيهة ثم قالت : اريد ان اشرب خمرأ

قال : ان الخمر مفسدة

قالت : ولكنها عندى تبعت أصدق الاحساسات وأصدق الاقوال ،

وأريد ان افضى اليك باشياء صادقة ورهيبه !

قال : ليكن

وأمر لها بالشراب فشربت متى وثلاث ورباع ...

قالت : أسقطت في نظرك نهائياً ؟ !

قال : لا الومك . وإنما سقطت انا في نظر نفسي

قالت : اذن أتمحى كل تاريخي معك من ذهنك ؟

قال : إيست لى عليك حقوق ...

هنا اعتدلت في جلستها والقت بالكوب الفارغ وقالت : اسمع

يا د شكرى ، ! أتذكر جزعى من رؤية الاوستراليين ؟ ألم اكرر قولى

اننى لا اكرههم بل اخشاهم ؟ !

قال : أذكر

قالت : اذن فاعلم أنى جئت أندرك . اننى أخشى عليك !

قال : اطمئنى . لقد انسحبت فتمتمى

وكأنها اعتبرت هذه العبارة اهانة فانتصبت كاللبوة وزارت : دنى !!

أظننت اننى جئت استميحك عذراً لاننى أحب وأرجو منك أن تخلى

الطريق . دنى !!

قال مستخفاً : اشكرك على هذه التحية

قالت : اذن لن يكون الحديث بيننا طويلا . كلمة واحدة أو كلمتين :

احذر الضابط !

قال : كم أود ان اكون أول ضحية ...

قالت : وعلى مذبحى ؟

قال : كلا ! بل على مذبح بلادى !

قالت وقد اطلت من عينها الذابلتين الدموع :

— انا الساقطة في نظرك ونظرة الناس ونظر ابوى واخوتى  
واسرتى وعشيرتى من قبل . لست آسف على شيء ، انما انا امرأة عنصرى  
نييل . وقد جئت أؤدى واجباً فقد تكون هذه آخر مقابلة بينى وبينك .  
احبك واحب الرجل . احبك ولم تقدم لى معونة ولم تبذل ولم تضح .  
وأحبه لانه فعل كل هذا . صدقت أم لم تصدق . فلست اطمع فى استئناف  
العلاقة . وتستطيع أن تستنتج مع من قلبى ومع من ضميرى ووجدانى .  
وكم حاولت كبريائى أن تصدنى عن هذه المقابلة وعن هذا التصريح ! .  
وقد نجحت مراراً ولكنها فشلت هذه المرة . لأنى امرأة منحوسة  
ونحسى ينصب على رهوس عشاقى . ولانى أخشى أن يجرى عليك  
ما جرى على « ثروت » وأن أقبلك أنت أيضاً قبلة الوداع ! . . .

نظقت بهذه العبارات بروح وحماسة . وهبطت هذه العبارات برداً  
وسلاماً على قلب الفتى المتقد بالنار ، فهدأ واستراح وانتزع يدها وطبع  
عليها قبلة

والعشاق الاطفال يأسرهم بسرعة البرق الكلام اللين المصوغ فى  
قالب الاعتذار أو قالب الايضاح والبيان . وكأن « شكرى » أراد أن  
يستمتع بتفاصيل هذا النوع فكشفت له بتدفق عما بيناه . وانتهت المقابلة  
على احسن ما يكون . وقد عان بها الى القاهرة مزهواً فخوراً لانه استعاد  
القلب واستعاد كرامة العشاق ! . . .

ولكن بقى فى الظلام شبح التهديد . أما هو فكان لا يأبه ولا  
يكثر . وأما هي فكانت تحميه بالقبل المتواليه وتصف له وسائل  
التحصن والحذر وعيناها مفعمتان بالدموع !

## سنسافر معا ...

في ساعة القيلولة وساعة قبل الغروب دق جرس « البنسيون »  
فهرولت « ثروت » بنفسها الى الباب ظانة أن الزائر هو « شكرى »  
وما فتحت الباب حتى وجدت أمامها الضابط !  
حياها فردت التحية

واتجه الى غرفتها بدون استئذان كما اعتاد أن يتجه !  
فسارت وراءه

قال لها : كيف حال المصرى ؟ !

قالت : لم أزه غير مرة واحدة

قال : وهل لا تزالين تحبينه ؟

أحابت : يكفيك ان اقول انى لا ازال احبك

قال : شكراً . هونت على مهمتى !

قالت : أية مهمة ؟

قال : سنسافر معا بعد يومين اثنين !

قالت : الى اين ؟

قال : الى وطنى . الى اوستراليا

قالت : أجاد انت ؟

قال : كل الجد !

وجمت ولكنها تمالككت ثم قالت : ولكن كيف استطيع أن اعد  
حوائجى في هذا الوقت القصير ؟

قال : أما حوائجك فلا يحتاج اعدادها الى وقت طويل ، وأما  
الباسبورت فدعى امره لى

قالت : ولم هذا السفر المفاجيء ؟

قال : صدر الامر بتسريح الفرقة !

قالت : دعنى افكر

قال : اترددين ؟

قالت : وأى غرابة فى هذا ؟ من مصر الى اوستراليا . اليس الامر

يحتاج للتفكير ؟

قال : عجيب ! ما كان عهدى بك ان ترددى . فيجب ان تبتي !

قالت : لن أسافر

قال : نهائياً ؟

قالت : نهائياً

وبكت . ولست أدرى . اكان البكاء من اجله أم من اجل الموقف

الدقيق والمأزق الحرج ؟

وأشعل هو سيكارتته ثم قال : اذن لنشرب ؟

وتناول اقداح الشراب سريعة متتابعة وهو يتأوه ويتلوى ويكظم

الغيظ ، وقد ثبت لديه ان « المصرى » هو العقبة الكؤود

☆☆☆

واسترد الضابط توازنه واستعاد بروده ثم اخذ يكرر الطلب بكل

أنواع صيغه وأساليبه ، من رجاء ، وإلحاح ، وتشدد ، وتوسل ، وتذكير .

ولسكنها كانت أبدا مصرة بكل أنواع صيغ الاصرار وأساليبه ، من  
ضعف ، واعتذار ، وشدة

ووجهم الضابط ووجه طويلة ثم زفر زفرة طويلة ثم قال : ان السفر  
بعد باكر وباكر هو يوم الاعداد وهو يوم مشحون بالعمل . لم يبق  
إلا هذا المساء وهذا الليل ، فليكن مساء الوداع وليل الوداع . ويكفيني  
وقد رفضت رجائى أن أمضيها معك ولعل الايام المقبلة تجمع بيننا  
فهيها . . .

وقامت « ثروت » فارتدت ملابسها وهي تعلم أن تمضية هذا الوقت  
مع الرجل الوفي المخلص هو واجب هين عادل  
وذهبا الى الجزيرة وقد ودعت الشمس الأفق ، وابتدأ الظلام يرسل  
طلائعه على الدنيا المضيئة . . .

## السفر! ...

كان الأستاذ « شكرى » فى اليوم التالى بالاسكندرية فى قضية ، وعاد بعد الظهر مضى من وعشاء السفر ، فلما استراح قليلا حمل محفظته وتوجه الى المكتب . ثم طلب فنجاناً من القهوة وفتح جريدة « المقطم » كعادته ليقراً أخبار المحليات . . .

وكان قد أمر الكتبة بأن يحضروا له بسرعة عمل الغد . وبينما هم منهمكون فى تنفيذ اوامر الشاب المحبوب اذا بصرخة تدوى فى ارجاء المكتب وتمز أركانه وقد صدرت من غرفته . . .

بادر الكتبة فزعين الى النجدة فوجدوا القى مغمى عليه وقد سقط من كرسىه وجريدة المقطم بجواره

استدعى الطيب فى الحال وعملت الاسعافات السريعة ، وكان له زميل من سنه يعرف من خصوصياته الشئ الكثير وقد لفت نظره الجريدة فاخذها وقرأ فيها ما يأتى :

### انتحار ضابط اوسترالى وقتل فتاة

« عثر البوليس أمس الاول أثناء تجوله فى نواحي الزمالك بعد نادى الجزيرة البريطانى حوالى الساعة الثامنة بجثتى ضابط اوسترالى وغانية عليها مظهر المصريات ، وقد اخترق الرصاص قلبيهما فسقطا صريعين . وقد وجد خطاب بجانب الجثتين كتبه الضابط المنتحر وذكر

فيه أنه بسبب صدور الأوامر اليه بالعودة الى الوطن وعدم إمكانه مخالفة هذه الأوامر ولأنه محب صديقه هذه فقد قرر أن ينتحر فاطلق عليها الرصاص أولاً ثم أطلقه على نفسه . وإنه يودع أصدقائه وأهله ويطلب الغفران من الله «

« أما الضابط فاسمه « جيمس ريد » كما ذكر في خطابه . وأما القتاة فاسمها « ثروت » ويظهر انه اسم محرف « وهكذا مصارع العشاق . . . »

الى اسيوط ! ...



## الى أسيوط! ...

في القاهرة ناد فخم للالعاب الرياضية كان ولا يزال أرقى النوادى الرياضية المصرية وسطا وحيثية . مؤسسوه كانوا فريقاً من كبار الطبقة الارستقراطية المثقفة الموسرة . واعضاء لجنته العليا من الوزراء وأمثالهم كان « شكرى » عضواً فى هذا النادى . وكان من غواة « كرة القدم » وفريق « كرة القدم » فى هذا النادى كان أقوى الفرق المعروفة ...

فى قطار الليل الذى يقوم من محطة العاصمة حوالى الساعة الثامنة مساء احتل فريق النادى مركبة من مركبات الدرجة الثانية ووجهته أسيوط لمباراة ناديهما الرياضى . وشوهد بين أفراد الفريق المسافرين « شكرى »

ورحلات فرق الكرة فى النوادى والمدارس رحلات ممتعة حقاً . هى عبارة عن ضحكات من القلب . واعفى بعد ذلك من الوصف . هى المرح وهى السعادة وهى الهناء وهى الطفولة الفتية بكل ما فيها من سذاجة وصفاء وعدم شعور بالمسئولية ...

و« شكرى » كان الثرثار اللبق الحاضر البديهة السريع النكتة ، وكان المورد العذب والمصدر العذب فى كل رحلة ...

ولكن ، يا لحيية الامل!؟

كان هذه المرة جامداً كالحجر ، بارداً كالثلج ، شاحباً شاردأً كدمنى المخدرات ...

وحاول اخوانه أن يحركوه بنكاتهم الظريفة ومجونهم البريء فكان  
ينظر ولا يتحرك

قال الصديق نمرة ١ : انت جوعان !؟

وقال الصديق نمرة ٢ : انت مفلس !؟

وقال الصديق نمرة ٣ : انت قتلت قتيل !؟

وانطلقت العبارة الاخيرة كالسهم أصابت فؤاده فصرخ صرخة

داوية واردفها بلفظة فيها كل الوجعة : نعم !!

☆☆☆

صدق « شكرى » ، اذ صرخ وقال : نعم

ألم يكن هو القاتل حقاً ؟!

لولا انه كان طارثاً طراً على حياة قاطنة القبر ما احتواها القبر !

كانت عادت الى أحضان صديقتها ومنقذها فتبعته إلى حيث شاء ،

وتزوجته أو عاشرته ، كما يشاء ، وتمتعت بالحياة ولم يغيبها الظلام !

نعم . كان هو القاتل لا القدر !

وما هو جزاء القاتل في عرف العدل لا في عرف القانون ؟

ما هو جزاء القاتل في عرف الواجب لا في عرف المسؤولية الوضعية ؟

ما هو جزاء القاتل في عرف المحب الوهّان لا في عرف الحيوان ونصف

الحيوان !؟

أن يختفي من العالم وان يرقد بجوار الضحية ! طائفاً مختاراً يستصدر

الحكم على نفسه من ضميره ، وعلى حياته من وجدانه ، ثم ينفذه بيديه

في روحه ، ثم ينتهي ان كان رجلاً وكان شجاعاً . . .

وإن « شكرى » لرجل ! وانه لشجاع ؟  
 اذن علام التردد ؟ وعلام الابطاء ؟  
 هذا القطار يسير بسرعة البرق، وهذه النافذة يستطيع أن يقفز  
 منها قفزة واحدة فيصل بالسلامة الى النهاية !  
 ولكن من يرقده بجوارها ؟ من يعلم بأمره وأمرها ؟ من يضم  
 عظامه الى عظامها ؟ من يشيعه الى قبرها ؟  
 فاينتظر قليلا ، حتى يكتب رسالته ، ويترك وصيته ...



ويبقى « شكرى » من نوبته الجنونية فيجد إخوانه حوله ذاهلين  
 جزعين ، وقد أسعفوه بما لم يشعر به وبما لم يحسه . فينيس متوسلا :  
 — دعونى أئم

ويصدق الاخوان هذه الدعوى الكاذبة فيتركونه وحده . ولو  
 صدق لقال : دعونى أبك  
 . . . . .  
 . . . . .

الله ! ...

« يا رب ! ... »

هتاف صدر من أعماق نفسه واهتز له كيانه الجسمى والذهنى أى  
 اهتزاز . وكأنه شعر بشىء من الراحة فى هذه النجدة الربانية وفى هذا  
 الملجأ العلوى الروحانى الحفى ، فأخذ يكرر الهتاف و يضغط بيديه على

صدره وعلى قلبه وعلى رأسه ضغطاً عنيفاً بقسوة وشدة ، فيصدر الهتاف .  
بجرس صوتي مكتوم حزين تصحبه زفرة حارة نارية يتلقاها بيدين  
متناثرتي الاصابع على وجهه فترد النفس الناري الحامي عليه فاذا به كله  
متوقد باللهيب ؟

كان لهذا الهتاف أثره السحري على نفسه الثائرة المتمردة ، فهي  
تراجع رويداً رويداً عن خاطر النافذة المفتوحة في القطار السريع  
وعن خاطر القفز منها للحاق بعالم الفناء . وهي تمنع وتذل . ثم هي تتجه  
ببطء لشيء سمع عنه ولم يدرسه وهو : القدر ؟

وكأن القتي المجنون قد استرد شيئاً من ذا كرتة الضائعة في هذا  
الليل البهيم . وبعد نكبة الفادحة . فهو ينشط بعد افاقته ثم يطل من  
نافذة القطار . ولكنه لا يوجه نظره للارض التي كانت المرمى منذ  
دقائق ، وإنما يوجه نظره للسماء ؟

السماء ؟؟ ماذا في السماء ؟

لا تسألني أنا وإنما سله هو ، وانظر اليه وقد رفع يديه بنحشوع .  
وقد سقطت دمعتان بخوف واحترام وتقديس . وقد خرجت زفرة  
يحف بها أبلغ ما في قلوب البائسين من مشاعر ومظاهر وعلامات  
الا كبار والاجلال ...

السماء ؟؟ ماذا في السماء ؟

آه ...

أخيراً ، وأخيراً ايها الشاب المتمرد المغرور . المغمور ببحر الحركة  
المادية الطامي . المأخوذ بأنوار الصالات والبارات والمنتديات والمراقص

والملاهى . المختلس من عالم الروحانيات بضجيج المدينة وعجيجها  
وتيارها القوى الاندفاع . . اخيراً واخيراً تذكر ايها الشاب السماء .  
ومن فى السماء ؟؟

الله ! . . .

نعم : هو « الله » ولا أدرى لم يبحث عنه الناس صعوداً للسماء .  
ولا يبحثون عنه هبوطاً للأرض !

نعم : هو « الله » الذى لا نذكره فى الرخاء - ولا فى النعيم -  
ولا فى اللذة - ولا فى الراحة - وإنما نذكره فقط عندما نحتاج ؟ !

« عندما نحتاج » ولست ازيد . ورتب على معنى « الاحتياج »  
و « ملحقاته » ما شئت ، من حاجة الى المال - وحاجة الى الشفاء -  
وحاجة الى السلوى - وحاجة الى الانقاذ

نعم : هو « الله » أيها الجحود ! وأيها الكفر ! وأيها العمى ! وأيها  
الصمم !

هو « الله » الذى نذكر زبدة الصباح . ومرربى الصباح . وشأى  
الصباح ونسأه . . .

هو « الله » الذى نصلى للدرجات ! وزرع للترقيات ! ونسجد  
للعلاوات ! ونسبح بحمد الوزراء والرؤساء ونسأه . . .

هو « الله » الذى نمجج لكعبة الحكم . ونقبل حجر لاطوغلى .  
ونطوف حول بيت الوجاهة وبيت المال ونسأه . . .

هو « الله » الذى نضحى من أجل السلطة الارواح والاموال  
والاخلاق والوطن ونسأه . . .

هو « الله » البعيد عن الخاطر في كل ضحكة ، وكل رحلة ، وكل  
وليمة ، وكل سهرة . والقريب من الخاطر - فقط - عند الآهات  
والحسرات !

☆☆☆

هذا « ذكر الله » رفه عن القى لوعته ، وزحزح كربته ، وخفف ،  
مصيبته ونكبته !  
فاين « كلام الله » ؟  
كلام الله ؟  
كد القى قريحته . وأجهد ذا كرته . واضنى مخيلته . فلم يظفر بكلمة  
من كلام الله !  
واحسرتاه !

الف رحمة على عهد « الكتاب » في القرية . والف رحمة على عهد  
« سيدنا الشيخ جاد » و « ستنا الشيخة صالحة »

مخج ومرحى ومرحى !

الحكومة المصرية الاسلامية القرآنية ماذا علمته في المدارس ؟  
ان الجواب عند المستر « دنلوب » وعند خلفاء المستر « دنلوب »  
حصه واحده اضافية في المدرسة الابتدائية يلقنونه فيها بعض آيات  
القرآن كالبيغاء . فهو يحفظ الآيات عن ظهر قلب ولا يعلم منها شيئاً .  
حصه « الديانة » ، هذه تجيء في آخر النهار وقد لعب الجوع بعقل الصغير  
وبطنه . وقد لعب الحر والعناء بأجفانه وذهنه ؟

فاذا ما تخطى دراسة الطفولة وانتقل الى الدراسة الثانوية حيث

يشرع العقل في النضج . وحيث تشرع المدارك في الاستواء ، كانت  
الكرة والجهاز أجدى على البدن من الدين على النفس ؟ !

واذن فهناك كرة وجهاز . ولا دين . . .

فاذا ما انتقل للدراسة العالية فالدين علم متأخر لا يتمشى والمنطق  
والقانون والاقتصاد . هو لا يرتفع الى مستوى العلوم العصرية والدراسات  
المفقيهية ! . . .

فاذا ما تخرج الفتى لم يذكر من قرآنه . ودينه . وسنته . وروحانيته  
غير خيالات « كتاب » القرية . وغير ايضاحات « سيدنا » الشيخ  
و « ستنا » الشيخة

فاعذروه ان انطلق عدواً الى « البنسيون » الذى لم اشأ أن  
اسميه ؟ . . .

واعذروه اذا نسي « الله » ونسى « كلام الله » . . .

واعذروه اذا حرضته نافذة القطار ، على السفر الى النار ، وبئس  
القرار . . .



واشتدت لهفة الفتى على « كلام الله » . . .

وكان بين اخوانه من فريق الكرة المسافرين معه شباب طيب  
متدين اطلق عليه اخوانه اسم « الشيخ احمد » . . .

اقترب منه الاستاذ الناشئ وأسر في أذنه أن ينتحى معه ناحية  
هادئة لأنه في حاجة اليه . . .

ولبي « الشيخ احمد » الدعوة المستكينة الذليلة

قال : أتحفظ كلام الله كله ؟

قال : كله . والحمد لله

قال : أنجذني فقد أوشكت الآن أن أنتحر ! ...

هنا خلع « الشيخ احمد ، حذاه » وتربع ، وأخذ يرتل الآية :  
« وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .  
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »

قال وقد أخذته روعة : أعد وتمهل

فأعاد « الشيخ احمد » الآية الكريمة ، وأخذ صاحبنا يلثم روحانياتها  
التهاماً وهو مطرق إجلالاً واحتراماً

وقرأ « الشيخ احمد » : « ولا تأسوا من روح الله . إنه لا يأس  
من روح الله إلا القوم الكافرون »

قال : زدني يا « شيخ احمد » فاني أشعر بالطمأنينة تتسلل الى قلبي

قال : اسمع : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر

الله تطمئن القلوب »

قال القى : يميناً لاؤذ كرن الله ، ولأحفظن كلام الله

قال الشيخ احمد : اذن سأعيرك مصحفى الليلة لتقرأ فيه كلام الله

ولتدرك معنى كلام الله

ودفع اليه المصحف الكريم فأخذ يتلو السور سورة سورة حتى

قال المنادى : أسيوط . . . . .

. . . . .

. . . . .

## أسيوط المنكوبة! ...

لم تكن الرحلة الرياضية هي السبب المباشر لرحلة «شكرى» إلى أسيوط . انه أحب أن يغادر القاهرة ليغادر الذكريات المؤلمة . ومن الصدف العجيبة أنه قبل حدوث الحادث كان قد تلقى عدة خطابات من اخوانه المحامين تحت التمرين بأسيوط ومن إخوانه أعضاء النيابة بأسيوط - وكلهم من خريجي فرقته وزملائه وأصدقائه الذين يحبونه حباً جماً - يحرضونه كل التحريض على أن يشتغل محامياً بأسيوط . كمساعد لأحد نوابغ المحاماة هناك . ومنشأ الفكرة ان الصدف العجيبة ايضاً جمعت بين اخوان الفرقة في صعيد واحد . ولما كان «شكرى» يتمتع في المدرسة باعجابهم وتقديرهم فكروا في التأثير عليه حتى يجتمع الشمل وحتى تتكون جمعيتهم الظريفة من جديد . . . .

وأغرب ما كان في ذلك الاغراء وذلك الاعزاز أنهم حملوا ذلك المحامي النابغة على أن يكتب خطاباً يعرض فيه مرتباً شهرياً قدره عشرون جنيهاً، وهو مرتب يمتاز عن مرتبات زملائه المحامين تحت التمرين وزملائه أعضاء النيابة . . . .

لما حدثت الصدمة العواطفية وجد «شكرى» الفرصة مهيأة معدة . ووجد في ذلك المهجر ما قد ينسيه آلامه وأحزانه ، وما قد يشغله عن ذكرى الماضي الكئيب ...

واستقبله اخوانه على القطار الذى يصل بعد منتصف الليل بكثير . وكانت مجاملة لها وقعها . وأضافوه الليلة في منزل أحدهم ، ثم اتصل

بأعضاء ناديه حتى انتهت المباراة وملحقاتها من ضيافة وسهرات وحفلات وعاد فريقه الرياضى الى القاهرة ، واستلم هو عمله فى مكتب زميله المحامى الكبير . . .

☆☆☆

ولم تمض أيام قليلة على حياته العادية فى أسىوط حتى انطلقت القنبلة الاولى من قنابل الثورة المصرية فى اقليم المنوفية ، ثم تطاير الشرر الى غيرها من الاقاليم ، واشتعلت نار الثورة فى القطر بأسره ، فكانت ثورة مباركة لعلها المثل الاوحد على رجولة الامة المصرية فى عهدها الحديث ؟ وقطعت المواصلات بأنواعها بين أسىوط والقاهرة وبين أسىوط وغيرها من مدن القطر ، فكانت عزلة تامة ثم كانت المآسى . . .

☆☆☆

لا تطمع فى أن تقرأ هنا تاريخاً لحوادث الثورة فى أسىوط . ليس ذلك من شأنى ولا من شأن بطلى . وإنما أنا امزج فى استعراضى هذا بين الحب والسياسة والاخلاق والاجتماع . وفى أسىوط اجتمع لفتانا كل هذا . فقد وصلت الى أسىوط أخبار الثورة مضخمة مجسمة . فهذا رجل محترم يقسم بأغاظ الايمان أن عرب « الباسل » احتلوا القلعة ؟ وهذا آخر لا يقل احتراماً يحلف بوحيدة « حسونه » أن الرديف المصرى تجمع واكتسح قشلاقات العباسية وقصر النيل ؟ وهذه منشورات اليد السوداء المصرية المستعينة بالفوضويين الطليان والاسبان قد بشمرت بفناء الاحتلال وفرضت إرادتها فرضاً على حكام الاقاليم المصريين ؟ نفتت هذه الاخبار النارية روح الحماسة فى صدور الناس فتحفزت

أسيوط وكشرت عن أنيابها. وكان الحب الميت قد أوقد في صدر المحامي،  
الناشئ شعله من الشعر الثائر. فألف نشيداً وطنياً ملاًه بالدم وبالتضحية  
وبالفداء، ثم لحنه تلحيناً شعبياً سهلاً وأذاعه، وطبع منه الطابعون أكثر  
من عشرين ألفاً من النسخ وزعوها على الجماهير وعلى المخادع وفي العزب  
والكفور. وكانت نعمة الائتلاف بين الأقباط والمسلمين انشودة تلك  
الأيام فترنم بها في نشيده والقاء في الكنيسة في صباح يوم من الأيام،  
فاذا بالناس تموج موج يوم القيامة وإذا بالشر المقدس الوطني المتشفي  
السفاك يدفع الجموع دفعاً نحو الانكليز...

ويزحف البؤساء العزل زحف الأسود الكاسرة المقاعة الاظفار  
والايناب على مستودعات الذخيرة المحلية وعلى سلاح البوليس فيتخاطفونه  
تحاطفاً ويتقلدونه فارغاً ومملوئاً. ويتكون في لمح البصر جيش الثورة من  
«الجلاليب» و«الزعايط». وعدتهم عبوديتهم الكريهة التي طال عليها  
المدى، وهناؤهم المالى والعائلى الذى سبط عليه أهوال السلطة، فغيبت  
فلذات الالكباد فى فلسطين والتهمت الذرة والقمح والحخير والجمال ورزق  
العيال وقوت العيال...

ويصيح الصائح ويهتف الهاتف: إن «فيصلا» شيخ العرب  
الغضنفر والصنديد الذى لا يقهر قد تقلد القيادة العامة، ثم يسمع الناس  
بعد قليل صوت الرصاص فى «المليان»  
ويخيم الظلام فنشدد المعركة وتحمّد. ثم فجأة تنطفىء الانوار فى  
أسيوط الكبيرة ويسودها الظلام...  
ان وابور النور قد تعطل...

ويحتجىء الناس فى دورهم ويحكمون إغلاق الابواب ، وقد انتشر  
الذعر فتسلل الى كل بيت والى كل قلب

حجأة ينطفىء النور ثم فجأة تندلع النار ...

هذا « تبى السلطة » المسكبوس المكس على مقربة من جدران  
العمارات والقصور فى أسىوط قد أصبح محيطاً لا من الماء ولكن من  
اللهيب ...

والنار ترتفع وترتفع ثم تلقى باذناها الطائرة على المبانى القريبة  
فتحترق ...

ويتهز الاشرار الفرصة فيقتحمون الحوانيت سالبين ناهين متاجر  
الاجانب والوطنيين سواء بسواء

وتوحد الاسر الاجنبية وتتحصن وراء الابواب بالدموع وبالذعوات  
وبالائىن ...

ورجال الحكومة قد أسقط فى أيديهم من الكبير الى الصغير فتلاشوا  
جميعاً وقنع كل واحد منهم بمخبأً وبملجأً ...  
وتخفى أسىوط ، فلا ترى فيها ولا تسمع الا الظلام والا الرصاص  
والا النار والا العويل ...

☆☆☆

فى تلك الليلة السوداء المجنونة وجد « شكرى » واخوانه الاغراب  
من أعضاء النيابة والمحامين الناشئين أن البيوت الكبيرة قد أوصدت  
أبوابها وأوقفت حولها الحراس من فلاحيا وزارعيها خوفاً من الثورة -  
الثورة ضد الانكلز ، والثورة ضد الثروة !!!

نعم كانت حقاً ثورة ضد الانكليز يقودها بعض المتورين . وثورة ضد الثروة يقودها الاشرار الفقراء . أما ثورة الانكليز فكانت تدور رحى معاركها حول مدرسة الامريكان وحول الخزان . وأما ثورة الثروة فكانت تدور معاركها في الحوانيت والمتاجر . وكان « شكرى » وإخوانه الاغراب يتحصنون في شقة أحد الزملاء . ولكن « شكرى » بعد نكبته العاطفية كان لايزال ذاهلاً شارد الذهن لا يقوم روحه بشيء . سمع في الشقة المجاورة أنيناً ، وأحس بكاء وعويلاً ، فاتجه نحو الباب وأخطر من بداخله بأنه رسول أمان ففتحوا له . وجد أمامه - وبالهول ما وجد ؛ - نساء وأطفالاً رضعاً وغير رضع ورجالا كالنساء وكالاطفال . « أجنب » يكاد يميتهم اهللح قبل أن يصيهم الرصاص . أبت سخافته في هذه اللحظة الرهيبه إلا أن يلقي عليهم محاضرة في روح الحركة وتزاهة الحركة . ولكن من يسمع ومن يصدق . وألقت سيدة وقورة بجسمها على قدميه تقطعهما تقبيلاً وتوسلاً وهى تشير اشارة متخاذلة نحو باب العمارة ، وكانت عمارة محمود باشا سليمان رجل الصعيد القعيد ، وولده « محمد باشا محمود » أحد المنفيين في « مالطة » ومن أجلهم قامت الثورة . واندفع « شكرى » نحو الباب يتبين مايجرى فاذا به يلح صفائح البنزين المنهوب من مخزن مجاور ، قد رصت رصاً على محاذاة جدار العمارة ، وإذا به يشهد - وبالهول ما يشهد ! - الثائرين يوشكون أن يشعلوها بعيدان الكبريت !!!

زأر في وجوههم زئير اليائس المستميت . فقال أحدهم : « هنا انكليز » ... قال : أخطأتم بل هنا أجنب . وهنا أمهات . وهنا أطفال .

ولن يقدم أحدكم على جريمة قبل أن أكون أنا أول ضحية . هذه  
عمارة « محمد محمود » ولاجل حرته وحرية بلاده ترمم . وانتم الليلة  
تخربون بيته وتنسفون ملكه . الى الورا . الى الورا . .

قال وحش من الوحوش : « اسكت . وهل وزع محمود باشا سليمان  
أرغفة العيش على الجائعين ؟ نحن طلاب قوت !!! »

وكانت صدمة أية صدمة للفتى الوطنى . خلط عجيب بين طلاب  
الاستقلال وطلاب القوت ! وخالط غريب بين الكفاح القومى  
والاشتراكية الساذجة ! . .

وحاول اللص الاكبر أن يشعل النار فقبض الفتى على يده متوسلاً ،  
ولكن الفقر الجاهل الكافر كان لايعى ولا يفهم . حتى هتف هاتف :  
اسرعوا الى دكان السجاير . فتركت العصاة صفائح البنزين وهرعت الى  
الغنيمة اللذيذة . فحمل بيده هو وزملاؤه الصفائح . ولم يرتد أحد من  
غواية التدخين . . .



صوت الرصاص لا يزال يدوى دويه الرهيب . . .  
عمارة « النيس » الحديثة الطراز تشتعل بالنار . . .  
بركان التبن المكبوس لا يزال يرسل الشرر واللهب . . .  
كل هذا كان هيناً بجانب النكبة التى حلت بمتاجر الصاغة داخل  
البلد . أسيوط عاصمة الذهب والمصاغ أصبحت محكومة بعصابات اللصوص .  
وحوانيت الصاغة وفيها رهوس الاموال الطائلة قد اصبحت أثراً بعد عين  
كان التجار الاقباط هم الفريسة . ولعلى أذكر تعليلاً واحداً يهون

الامر . فقد كانت الليلة السوداء ليلة الاثنين وكانت ليلة لم يرقب مقدماتها الاقباط لانهم يقفلون متاجرهم يوم الاحد ، فلم يحتاطوا فحلت بهم النكبة . وكان هم الشبان المسلمين أن يصونوا الوحدة القومية وكانت مهمة شاقة . وكان عسيراً على المسلم أن يقنع قبطياً نكب في ثروته عن آخرها بنزاهة اللصوص وبعدهم عن فكرة « التعصب » . ولعل « شكرى » كان انعس الناس بهذه الظاهرة . وكانت مواسة الاقباط المنكوبين سخافة . وتغلغل « شكرى » بين العصابات في الليل البهيم يعظ وينصح . ولكن هيهات ! ..

## ثروت الثانية!

... وفي زقاق من الازقة سمع صوت استغاثة مكتوم فاتجه نحوه في الظلام . وصدق في وجه المستغيث فلما تبينه سقط على الارض قابضاً على القدمين بيديه الفولاذيتين . وانقلب المستغيث مغنياً فحني على الاستاذ يهدى روعه ويثيب اليه رشده . وأفاق « شكري » فأخذ يقبل شعر المستغيث ووجهه تحت تأثير طارئة غريب من الجنون النصفى . ثم انهمرت دموعه وأخذ يصيح : ثروت . أنت هنا ؟ . اذن لم تموتى ؟ !

كانت الفتاة المستغيثة فتاة هي بعينها « ثروت » في القوام ، وفي القد وفي اللون وفي الروح . . ولكنها لم تكن ثروت . . .

والفتاة المستغيثة مأخوذة بهذه الحالة العجيبة . ولكنها تحس نحوه احساس الانشاق فتمسح دموعه وتقول له : تنبه . أنت مخطيء . أنا طالبة بمدرسة الامريكان واسمى « مريم » . . . هيا انقذنى وعدبني الى منزلي . . . ويشوب صديقي « شكري » الى رشده فيدرك خطر الموقف وسخافة تصوره . ويعتذر للفتاة اعتذاراً كله خجل . ويحيطها بذراعه وصدره ويقتحم بها الجماهير النائرة الناهبة . وهو كالاسد متحفز لكل مفاجأة . حتى اذا استقام الطريق قليلا وخلا من المارة سأله الفتاة برقة : ألسنت صاحب النشيد ؟

فيجيب : انا هو يا آنسة . . .

فتقول : لك تهنتى واعجابى . أنا أحفظه عن ظهر قلب وكل زميلاتي . . . ثم تبكى ؟

فيقول لها : ما يبكيك ؟

فتقول : جاء أبي لزيارتنا قبل الحادثة ولم يعد للآن فبادرت أبحث عنه وسط هذا الرعب فلم أظفر به . وكدت اقترب حتى استغثت بك ...  
قال : أحمد الله . ومن أين أبوك ؟

قالت : نحن من بلدة ( ... ) وهي قريبة من هنا وسنعود بأية طريقة في أول فرصة ...  
قال : بسلامة الله ...

ومرت برهة . وإذا بالفتاة تفاجئه بهذا السؤال :  
— ومن هي ثروت ؟ .

قال : هي التي أتت بي الى هنا

قالت : أي من سكان أسيوط ؟

قال : بل من سكان القبور

وكانت فتاة لماحة ففهمت ولم تنبس ببنت شفة ...

فلما وصلت لمنزلها عطففت قائلة بركة وأسى : أتراها تشبهني ثروت المرحومة ؟

قال وهو يضغط على يدها شاكراً عطفها : كل الشبه

قالت : اذن ادعوك لزيارتي كلما شئت أن تراها

قال : اشكرك

وكان ابوها على باب المنزل ينتظرها بفارغ صبر فتلقاها بجنو

الآباء ، ثم سأها : من هذا ؟

فقالت : منقذى

واستأذن « شكري » وعاد ادراجيه وهو بين ثروت الميتة . وثروت  
الحية ... ..

الثورة الجارحة لاتبقى ولا تذر . كل شيء في البلد ينهب : اثواب  
الحرير النفيسة . زجاجات الروائح العطرية الغالية الثمن . أسرة النحاس  
الفاخرة . الاحذية اللامعة وغير اللامعة . الاثاث الذى لا يقدر بشئ .  
مخازن « استين » تنقل كلها حتى «باركيه» الارضية يقتلع . وكانت المناظر  
بين مضحك ومبك . فهذا نائر يحمل على ظهره « البنك » الذى يعرض  
عليه العمال الأقمشة ويقف حوله الزبائن وهو ينوء تحت حمله الثقيل هاتفا :  
يحي الوطن !! وهذا نائر آخر ظفر بجاكنة « سبورت » من جاكنتات  
«التنس» الظرفية فهو يرتديها على جلابيته أو زعبوطه . وهذا نائر لبس  
حذاء من نوعين ولونين . «الفردة» الينى سوداء لامعة للسهرة ، و«الفردة»  
اليسرى بيضاء «للتنس» - وتضرب الفوضى باختصار اطنابها على اسبوط  
فلا تحكها الا الفوضى !!!

فاذا ما سألت عن « الحكومة » : اين هي . واين مقرها ؟ وجدتها  
متحصنة فى بيوت الاعيان او القناصل محروسة بالاهالى من غير جنس  
اللصوص ؟ !

وتنتشر اشاعة : ان الطيارات الانكليزية على وشك الوصول لتلقى  
القتابل على المدينة الهالمة المائجة . فترى فى الحال رتلا من العربات  
الفاخرة تحمل الاعيان وتحمل « الحكومة » بموظفيها الكبار وتنبه  
الارض نها . الى اين ؟ أتدرى ؟

الى الاستبالية الاميرية لتلوذ الحكومة ويلوذ الاعيان بالبناء المقدس  
وليخففوا فيه تحت حماية المرضى وذوى العلل والاسقام ! ..

وتسمع فى السماء ازيز الطيارات فيملاً الذعر قلوب التائرين وغير  
ائتائرين ويلوح الشبح الخيف فى الجو فيدور دورة أو دورتين ثم يهدى  
تحيته البليغة الى المدينة : قنابل ...

ويشاء ربك الحكيم الجيار أن تسقط القنابل على الاستبالية محباً  
الحكومة وملجأ الاعيان والموسرين والارستوقراطيين بعد أن أجلوا  
عنها المرضى وانصاف الموتى ...

ويتحكم الهلع فى الروس وفى الابدان وفى الاذهان وفى الألسنة  
فلا يلد الا مظهراً واحداً : الدهول ...

واستراحت القنابل واستراحت الطيارات بعد أن خطفت عدة  
ارواح صغيرة لاطفال صغار وبعد أن أسكتت صوت رصاص الاهالى  
التائرين ...

وينزوى الاستاذ « شكرى » فى غرفته بالفندق وهو يمزق شعره  
ويلطم خده من الغيظ ومن العجز . يسائل المسكين نفسه بذلك وجين  
وانكسار : أيصعد ائى السماء فينازل الطيارات ؟ ام ينزل الى الارض  
فيكافح العساكر « الهنود » ؟

هو يهتف : الى النزال الى النزال . ولكنه يلوح بيديه أسوة  
بالمرحوم المبرور « دون كيشوت » البطل المغرور



ويدق باب الغرفة فجأة فيأذن بالدخول

الخدام يحمل ورقة صغيرة فيها هذا الاسم :  
« ثروت » ...



وتدخل الآنسة « مريم » وعلى ثغرها ابتسامة شجاعة فتلقى [تحيّة  
ساذجة بعيدة عن التكلف والتصنع وعلى الطريقة الانكليزية المهذبة  
المحيية الى القلب والنفس ...

برهة : ما أدقها وأرقها وأصعبها فى التحليل ! ...

دهشة ، وعاطفة ، وتقدير ، وحيرة ...

ويغلق الباب . ولايدرى واضع هذا الاستعراض من أغلقه :  
أهو الخدام ؟ أم الاستاذ . أم الآنسة . أم هو الجماد أغلق نفسه  
بنفسه براً بهذا الطهر وهذا العفاف ؟ ...

قالت : هل يجررك وجودى ؟

قال : مطلقاً يا آنسة ، بل بالعكس . وجودى الذى يجررك ...

قالت : لا يعينى ، أنا أسيوطية وأنت فى أسيوط غريب ...

قال : شكراً

قالت : نعم غريب ... وحزين ايضا ... ومهدد بخطر !

قال : شكراً

قالت : وعدت « ثروت الحية » بالزيارة فلم تفعل ، فها هي تسعى اليك

قال : شكراً

قالت : خشيت عليك من الطيارات فجنّت لأطمئن ...

ولمحت الفتاة اللماحة فى عينه دمعين فاخرجت منديلها الصغير

الانيق وهفت به وبأثاملها عليهما ، فاستولى على يدها الصغيرة يقبلها  
بضعف واستسلام . . .



هل تذكرك أيتها القارئة الصغيرة وأيها القارئ الصغير رواية هذه  
المقابلة العجيبة ؟

كان من رأي ان اضن عليكما بالتفاصيل لولا أنها تكاد تكون  
خالية من التفاصيل . . .

هو مشهد من مشاهد السينما . ولا عجب فالفتاة لا بد قرأت  
كثيراً من الروايات وشاهدت كثيراً من « الافلام » السينمائية . ووجدت  
في صاحبنا بطلا من الابطال الذين شاهدتهم أو قرأت عنهم فاقدمت  
وفي نفسها أن تفاجئه لتواسيه . .

و « ثروت » عندها قصة . ومثار للفضول وحب الاستطلاع . وهو  
غريزة الفتيات والجنس الناعم على العموم . .

اذن لنهمل الخطر جانباً . ولنحتقر الطيارات مؤقتاً . ولتجاهل  
أسيوط المنكوبة لحظة . وليتكلم « شكرى » طويلاً عن « ثروت »  
بالسذاجة الفتيات ! !

لئن قبلنا عذر الأنسة « مريم » فكيف نقبل عذر الفتى الناضج  
« شكرى » وقد أخذ يروى قصة « ثروت » بأسلوب تركب من الحماسة ،  
والدموع ، والتهنيدات ، والحسرات . . . ؟

يقول بعض خبراء العواطف : ان « الخطر » يلد العاطفة بسرعة  
البرق ! أليس هو الذى يعطف القلب على القلب ؟؟ أليس هو الذكري

الرائعة الرهيبة التي لا تفارق الاذهان في مختلف الاسنان . . ؟  
وما هو الحب ؟

هو عندى بلا تطويل ولا اطناب : مجرد « الذكريات » . .  
هل فهمت ما اقصد من هذه العبارة الموجزة ؟ ان كنت لا تزال  
محدود الذكاء فاعلم أن عاطفة نشأت سريعة بين « شكرى » و « مريم »  
ولكنها « شىء » مبتكر فى عالم العاطفة ؟ !  
أما « شكرى » فدفاعه ان هذا « الشىء » نحو « مريم » هو الوفاء  
كل الوفاء « لثروت »

أليست تشبهها قداً ، ولوناً ، وروحاً ؟ !

اذن هو لا يخون الميتة بهذه الحية . . .

وعجيب هذا الوفاء للاموات !

انه يشعر رغم هذا التحليل بشىء من وخز الضمير

ولكن ما أرحمك يارب !

يموت العزيز علينا فنشيع جثته بكل مظاهر الحزن والجنون  
والوجيعه . فاذا ما ضمنا المأتم فى ليلته الاولى لم نتعفف عن السمر وعن  
تبادل النكات وعن الضحك ؟ !

وتغيب فى أسرع من رد الطرف ذكرى العزيز . . .

وتغيب الوفاء . . .

ليس هذا فى نظرى جحوداً ونذالة . وإلا كان جحوداً من أخس  
أنواع الجحود ، ونذالة من أحقر انواع النذالات  
إنما هو « الله » سبحانه وتعالى يبعث الصبر الى نفس المحزون بقوة

تفوق قوة الحزن رداً لفعل الصدمة فتتخدر الاعصاب المتوترة ، فتعود  
في الحال سيرتها الاولى ...

فينسى الاحياء الاموات في اقرب الاوقات ! ...



أما « مريم » الصغيرة الناشئة فقد أحدث الخطر في نفسها هزته  
الاولى

ثم أحدثت المفاجأة الثانية الهزة الثانية ...

ثم استفز عواطفها الفضول ...

ثم لذها أنها تشبه فتاة من أجلها سالت دموع شاب معروف ،  
ومن أجلها حدث تشنج وانغام ، ومن أجلها تجلبت عواطف قوية فيها  
لوعة وفيها أنين ...

ولا يغرى المرأة الصغيرة او الكبيرة غير الاعجاب المضمّر أو  
الصريح ...

ثم أتدرى ما الذى أشعل هذه العاطفة الصغيرة العجيبة ؟

إنها الغيرة !

ولو من ميتة ؟ !

والغيرة من الاموات عنصر فذ معقد من عناصر غريزة المرأة ؟ !

إنها غيرة لا تصل الى مستوى التشفى أو الحقد أو المقت . وإنما هي

غيرة والسلام ...

ولا تستكثر هذا التحليل على فتاة في سن الثامنة عشرة . إنك إن

اتجهت الى هذا النقد عددتك محدود التجربة في عالم الفتيات !

وليس هذا مجال الدفاع عن نظرتي بتطويل . وإنما أقول باختصار :  
تلك هي تجاربي وكفى !



هذه هي نفسية الفتى ونفسية الفتاة حين كان « شكري » يروي  
و « مريم » تسمع . وحين كانت الثورة في أسيوط تسكن أمام صوت  
مقدوفات القنابل . ولكن احتشام الشاب الاصيل والشابة الاصيلة كان  
يحول دون كل تلميح او تصريح . كانت العواطف تتفاهم بحذر وتحفظ  
وجبن . وكانت الالسنه خرساء والعيون تغالط ولكن الروحين تتقاربان  
واتتهت المقابلة على « رسميات » فيها حنو . وعلى مواعيد ومقابلات  
فيها خفر وحياء ...



لم تكذ الفتاة تلتفت نحو الباب حتى سمعت أسيوط دويماً ثالثاً  
هو مدفع « المتراليوز » قد ركب وسط الحزان واطلق ناره يمينا  
ويساراً فأباد مخلوقات ومخلوقات . ورأى « شكري » من واجبه أن  
يصحب الفتاة الى منزلها في عربة فركبت مكرهة وركب مكرهاً . حتى  
اذا وصلت الى باب منزلها ودعها بارتباك ...

وعاد في الحال الى غرفته ثم أغلق بابها وهو في أشد حالات التهيج  
والسخط ثم نظر في المرآة وخطب نفسه قائلاً : انت نذل ! ...



ثم ارتدى على سريره يبكي الوفاء - ويبكى عدم الوفاء  
ثم زفر زفرة وهمس هاتفاً : غفرانك يا ثروت ...

# القرون الوسطى !!!

وما شأن القرون الوسطى بسنة ١٩١٩؟ ..

بل وما شأنها بأسيوط؟ ..

سل الجنود البريطانية الاوسترالية الهندية الزاحفة نحو اسيوط ...

سل « النيابة العمومية » الانكليزية القائمة فى أسيوط ...

سل « المحاكم العرفية » المنعقدة فى اسيوط ...

سل الضحايا واذرف الدمع على البلد الذليل المسكين ...

☆☆☆

انطفأت نار الثورة فى عاصمة الصعيد ...

وابتدأت نار السلطة فى الاشتعال ..

☆☆☆

اقرأوا الاوامر الآتية :

« يجب على كل مصرى كائناً من كان أن يؤدى التعظيم العسكرى

لكل بذلة رسمية من بذلات جيش جلالة الملك البريطانى فى

الطريق » !!!

« يجب على كل صاحب بيت تطلب السلطة العسكرية تفتيشه ان

يفتح الابواب فى الحال » !!!

« يجب على من اتصل بعلمه اى تفصيل من تفصيلات الاضطرابات

أن يقدم البيانات فى الحال » !!!

... وأطعنا ... ..

هـ نحن نؤدى التعظيم العسكرى اللازم لكل « بذلة رسمية » ولو كانت لسواق سيارة ، او لسائس حصان ...

هانحن نفتح الابواب لعساكر السلطة السكارى المترنحين . .  
ثم - واحسرتاه - ها هي البلاغات تنهال كالمنطر على العسكر ! . .

☆☆☆

وتربع « مكنوتن » مفتش الداخلية على العرش وملك وحكم . .  
وسطا « كراباجه » على ظهور المهندسين . والمعلمين فى القهوات  
والمنتديات العامة . وذل له الكبار والصغار والحكام المصريين  
والمحكومون المصريون . .

وتسلى العساكر الانكليز بالرصاص يداعبون به ارواح المارة من  
باب المزاح وتضييع الوقت مادامت ارواح هذه الخراف بغير ثمن ؟ !

☆☆☆

فى وسط ذلك الرعب طأطأت الروس جميعاً ما عدا رهوس . .  
رهوس صغيرة لينة طرية تراصت تحت أعلام غير منكسة ؛ بل تحت  
أعلام مرفرفة فى الهواء متوثبة نحو السماء ! . .

يهدرون هدير البحر ويزأرون زئير الاسود . منشدين :

« وطنى ! وطنى ! . . »

وزحف الحيش الصغير الوثاب نحو دار أحد أساطين الزعماء -  
بسيونى بك - وحاصر القضاة والمحامين فى اجتماع عقد باسم « النصيحة  
والتهدئة . . »

واذا بالحيش الصغير ينتفض جيشاً عرمرماً بارز القلوب ،

والايناب ، والاطافر ، واذا به يصطف صفوفًا منتظمة ، وينتظم فرقا ،  
وضباطاً ، وجنوداً ، وحملة اعلام ! ..

وخطب القائد الصغير الاول فقال :

« جاءت أخبار الاعداء بأن جيشهم زاحف ! وان رصاصهم « دم  
دم » ؟ فاعدنا العدة للمعركة . وسلاحنا سلاحا مغنويان : قلوب ،  
وايمان !! »

ثم نهض القائد الصغير الثانى فقال :

« قيل لنا ان « دم دم » هذا رصاص مسموم ينقل من الاولى الى  
الاخري فى ثانية . فاعدنا له عشرة اعلام وعشر ضحايا . فاذا سقط  
حامل العلم الاول تقدم وريثه حامل العلم الثانى . وهكذا حتى تبعد  
فرقتنا وتسقط اعلام مصر على جث قتيان مصر !! »

هنا قام احد البارسين فما كاد يفتح فبه بالقول اللين حتى أخذته  
الصيحات من اليمين واليسار ومن الامام والحلف وحتى امتلات جوانب  
المزل بالنشيد النارى ..

نشيد الاستاذ « شكرى »

ووراء صفوف القتيان انتظمت صفوف الفتيات وعلى رأسهن

القائدة « مريم » ؟

❖ ❖ ❖

أولئك كانوا طلبة مدرسة الامريكان . لم يشهد الاستاذ « شكرى »  
فى حياته أبلغ أسنة ، ولا أعمر قلوباً ، ولا اعنف عزائم ، من ألسنتهم  
وقلوبهم وعزائمهم ..

وعبثاً حاول الزعماء المجتمعون ان يخففوا من حدتهم وبادر الوشاة  
فبلغوا معسكر السلطة ان « الضحايا » الفتية قد باعت - سلفاً - للوطن  
الارواح والابدان . فخشيت السلطة تجدد الفتنة وألقت السلاح ،  
وفرغت في « الفاضى » الرصاص المسموم ..

وأنقذ الطلبة الاعزاء أسيوط الكيرة من نكبة دامية . ولله در  
طلبة الامريكان . كانوا عنصر الثورة الذى ضرب المثل الأعلى فى معنى  
الثورة ومعنى الفداء !!



أمطرت سماء الحسة والنذالة وابلا من البلاغات على ضباط السلطة  
القضائين . وبدأت التحقيقات تسير بسرعة البرق . وصدرت أوامر  
القبض كـرصاص « المتراليوز » تصيب من فى طريقها بريثاً كان ام غير  
برىء كبيراً كان ام غير كبير ...

تلك كانت تحقيقات تليها محاكمات وفيها « سين » و « جيم » وأخذ  
ورد . إنما كانت بجانبها طلقات نارية يطلقها العساكر الانكليز على من  
يتوسمون فى شكله ، وعدم انتظام تقاطيعه ، وقلة انسجام ملابسه ، انه  
مجرم .. مثل هؤلاء كانوا لا يستحقون قبضاً ولا تحقيقاً ولا محاكمة ..  
علام ضياع الوقت وضياع الخبر ، وضياع الورق ؟ ! ..

الرصاصه السريعة هى المحققة وهى المحاكمة وهى المنفذة . والقبور  
موجودة فى الطريق ، وفى الزوايا ، وفى الازقة .. ورحم الله من  
لم ترحه السلطة العسكرية ؟ ! ..

من بين « الضحايا » المرحوم « كامل » مأمور البندر . أتدري  
ما كانت تهمة ؟ ؟

حينما فاجأه الثوار محاولين اقتحام الابواب لاغتصاب السلاح اتصل  
بكبير الحكومة طالباً الامر فقال له : تصرف ! . . .

واتصل بالمستر « مكنوتن » الانكليزي ممثل السلطة العسكرية فقال  
له : تصرف ! . . .

واتصل بقائد القوة العسكرية القليلة الموجودة إذ ذاك فقال له :  
تصرف ! . . .

وتصرفت الضحية المسكينه بالشدة تارة ، وبالنصيحة تارة أخرى ،  
وبالخداع حيناً ، وبالاغراء أحياناً . وكان وحده هو الكل في الكل  
والباقون متحصنون إما في المخايء أو في المغاور أو في المستشفى ،  
وخفف تصرفه الحكيم من حدة الحوادث . . . ثم ذهبت الايام فاذا به  
يحاكم على انه « تصرف » واذا به يتلقى حكم « الاعدام » واذا بجثته  
يحملها في الفجر اعوان السلطة فيلقونها تحت أقدام عياله واولاده  
ليبحثوا لها عن حفرة ؟ . . .

إلى رحمة الله أيها البرىء . لم يكن الاعدام لجريمة وإنما كان القصد  
منه « الارهاب » وصادفته القرعة ! . . .

وقبضت السلطة على عدد وافر من الزعماء والاساطين الذين كانت  
مهمتهم في أسيوط هي النصح والارشاد وكبح جماح الثورة والتأثرين ؟  
لم ! ؟ . . .

صعب عليك ان تفهم منطق السلطة العسكرية . . .

قاعدة قضائية عندهم لا تقبل مناقشة ولا لجأاً : « أن من كان  
يملك النصح والارشاد . كان يملك منع الثورة فهو مجرم » ۱۱۱  
وامتلات السجون . ولا أريد ان اطيل عليك الحديث فهو  
لا ينتهى ...

# أهرب! ...

« اهرب »! ...

كلمة صغيرة في ورقة صغيرة وجدها « شكرى » في غرفته ...  
والخط كان خط « مريم » ...

« شكرى » كان يعلم تمام العلم أن السلطة العسكرية كانت اذ ذاك سلطة غاشمة . ويعلم انه الف نشيداً ألقاه على آلاف المجتمعين في الكنيسة يوم المعركة الاولى . وكان يعلم انه من السهل جدا ان يقال عن نشيده النارى إنه المحرض الاول للثورة . ويعلم انه من الميسور جداً أن يكون الجزاء لهذا المنطق المتسلسل المنسجم إنما هو : الاعدام ...

ترأى له هذا الموقف بكل ما فيه من خطر وبشاعة وروعة . فهل تدرى ماذا كان احساس فيلسوفنا الصغير الطائش نحو هذا الانذار ؟  
إنه أخذ يقبل الورقة متى وثلاث ورباع ...

أليست من « مريم » ؟ ...

أليست من شبيهة « ثروت » ؟ ...

أليست من الصغيرة الناشئة العاطفة ؟ ...

أليست تتضمن نوعاً من العطف ومن الوفاء ؟ ثم من الخوف

عليه ...

لا لا ...

يجب ان يذهب توأ للبحث عن « مريم » ليعرف منها التفاصيل

التي تهدد حياته ...

كانت هذه هي الحجة الظاهرة المقبولة ...  
أما الحجة الحقيقية فكانت : فرصة للقاء ...

☆☆☆

هي : ألم تهرب بعد ؟

هو : وهل أستطيع ؟ !

هي : كيف ؟ بأية طريقة ! وفي الحال ! ...

هو : وبدون ان أراك ؟ !

... ..

سكنت « مريم » عندما ابدى « شكري » هذا الاعتراض . ولكن  
الفتاة كانت جادة غير هازلة . وفاضت عواطفها وأخذت تقبل يده بسندة  
قائلة : اهرب ! اهرب ! انك في خطر ...

قال : أين والدك ؟

قالت : ذهب ليبحث لنا عن وسيلة للسفر . سنغادر البلدة السكريه

في الحال

قال : اذن حق على الهرب !

وتشجع فأخذ يدها اليمنى بين يديه . ولكنها لم تعطه الفرصة برجولة  
وكبرياء ...

قال : لعلى تجاوزت حد الأدب ...

قالت : بل تجاوزت حد الجنون . اسمع يا « شكري » ليس الوقت  
وقت عاطفة انهم قد شرعوا يحتمون في نشيدك . ولى قريب يشتغل  
مع رجال التحقيق أبلغنى هذا فذهبت اليك ولم أجدك وخوفا من

ضياح الوقت تركت ورقة . وكلمة . . . ثم اسمع ماذا فعلت بعد ذلك :  
بحنت عن « المطبعجي » وعرفت اسمه ومكانه . وقام معي فوراً فاتانف  
المسودة التي بنحطك واتف النسخ التي في عهدته . ثم مررت على بيوت  
زميلاتي بقدر الاستطاعة فزقنا النسخ الموزعة عليهن . ثم ذهبت الى  
المكتب فاخطرت « مصطفى افندى » الوكيل بالموضوع . ثم أوصيت  
قريبى الذى يساعد المحققين بك وبشبابك خيراً . . .

قالت هذا كله بمجاهرة ورعشة ثم جلست على كرسى وألقت برأسها  
بين يديه فاذا بهما مغمورتان بالدموع !!! . . .

• ❖ ❖ ❖

ومرت لحظة ..

ثم انحنى الفتى العاطفى يلثم شعرها بفمه  
ثم همس فى أذنها قائلاً : اتركى نشيدى . وتكلمى عن قلبك وعن  
قلبي . . .

قالت بعد تردد وصمت : دع الحديث عنهما للمستقبل . . .

قال : انك قبضية ؟

قالت : ماذا تعنى ؟

قال : اننى مسلم . . .

قالت : لم افهم شيئاً . . .

قال : هل يمكن ان نلتقى ؟

قالت : بعد ان يستتب السلام . ولم لا ؟

قال : لم تفهمينى . هل يمكن ان نلتقى تحت ظل عقد مقدس ! . . .

انفضت الفتاة وقد تورد خداها فتجلى جمالها القبطى وامتزجت  
خبرة اللون بضعف الحفر فكانت سحراً وسحراً « حللاً » . . .

وتمت قائلة : شكرى . . .

قال : نعم يا مريم . . .

قالت : النشيد !

قال : بل القلب !

قالت : أعد السؤال . . .

قال : هل يمكن ان نلتقى تحت ظل عقد مقدس ؟

قالت : عندى الجواب . ولسكنى . . .

قال : ماذا . . . ؟

قالت : خجول . . .

قال : اذن لن اهرب !!

قالت : اتوسل اليك . . .

قال : حتى تجيبى . . .

قالت : اتعدنى ان انا أجبتك عن سؤالك ان تهرب فى الحال ؟ . . .

قال : فى الحال . . .

قالت : أعد السؤال . . .

قال : هل يمكن ان نلتقى تحت ظل عقد مقدس ؟

قالت : نعم ! . . .

قال : وكيف ؟ !

قالت : . . . الدين هو القلب . . .

قال : أسمحين إذن بقبلة ؟ ...

قالت : ها كها ...

وقبلها القى قبلة الطهر . قبلة جبانة خجولا مترددة نزقة لم تستغرق

ربع ثانية ! ...

وانسحب مسلوب اللب وهو يقول :

— إلى اللقاء !

• وهي تجيب :

— الى اللقاء ! ...

☆☆☆

عندما يقرأ القراء كتابي قد تستفهم بعض النتائج السريعة في  
المواقف الغرامية والاجتماعية . هذا الوعد السريع بالزواج ، وهذا  
الاتصال القلبي السريع بالفاتة القبطية ، قد يكونان في نظر بعض القراء  
مأخذاً ومحلا للنقد ! ...

ليكن ...

لست أدون وقائع خيالية من رأسي . وأستمد تصويرها من خيالي .  
ولست أنقل لكم المثل الصحيح للتجارب الصحيحة . وإنما أنا أنقل لكم  
بأمانة حقائق وحوادث مادية وقعت بالفعل كما قدمت . . في المساءة  
الاولى . . . ليفهم القراء جيداً أنني لست بالمؤلف بالمعنى الذي يفهمونه .  
فان كان ثمة ملاحظات فمسئوليتها على ابطالى ...

واذا أنا راجعت صديقي «شكري» وقلت له : كيف يتحول قلبك

فى مدى اربعة شهور أو خمسة شهور الى فتاة حية . وقد دفنته بجوار  
فتاة ميتة ؟ !

قال وهو يتأوه : آه لو دخلت قلبي وفحصته ! انه ما نسى الميتة .  
ولن يجحد الحية . ان « الزواج » يا صديقى هو علاج المنكوب فى الحب .  
ان « الزواج » هو البعث وانه هو السلوى ...

ثم أنصفتى وخبرنى . من أحبيت ؟ أليست هى التى رحلت بقدها  
وجالها وروحها ؟ ثم ماذا أقول فى الخطر الذى جمعنى بها وعرفنى بشخصها ؟  
ثم ماذا أقول فى عطفها وخوفها على . وفى لوعتها على حياتى ؟ ثم ماذا  
أقول اخيراً فى قلبي ؟ تالله لو اقنعتنى بأنه جحد أو خان لسحقته ...  
ولكنى اسأله فى ظلام الليل وفى هذا الخطر فيقول : هى - وهى ؟ !!  
وانى لقلبي مطيع !!!

# تاجر الحمير؟!!

« عثمان افندى » ضابط بالمدرسة الثانوية . يساعد هو الآخر المحققين . ولكنه كان لا يسلو الخمر . فهو دائماً ابدأ مترنخ . قابل « شكرى » فى المساء فمد « شكرى » يده لمصاحفته . فقبض عليها وهو يهتز سكرأ وذعراً وقال : الوداع؟!!

قال شكرى : من تودع؟

قال : أودعك . لقد بدأوا يتحرون عنك وعن نشيدك . . . فى هذه اللحظة وفد أحد القضاة ممن يحقلون اليوم منصباً من أسمى مناصب الدولة القضائية فنصح « شكرى » بالفرار فوراً الى ساحل سليم . وابلغه انه كلف من سعادة المدير بتبليغه هذا الانذار قال شكرى : ان الفرار دليل الجرم . ثم بأى حق أنكب عائلة « محمود باشا سليمان » بجرىتى؟! لا ، سأبحث عن طريقة اخرى . . .

وقام من فوره فبحث عن وكيل المكتب وصفى معه أوراقه وأشغاله . ثم علم ان زورقا بخاريأ سيقوم فى الصباح الى « ديروط » يحمل فرقة من الجنود تحت رياسة أحد الضباط الشبان ومعهم مرتبات المركز فقال فى نفسه : ان الشباب يحن الى الشباب . فلاحاولن أن أندس فى الزورق البخارى مع العساكر ، حتى إذا ما وصلت الى « ديروط » تابعت رحلتى على الركائب أو العربات من مركز الى مركز ، ومن اقليم الى اقليم ، حتى أصل الى بنى سويف . وقيل ان شركة « كوك » تنقل الركاب من بنى سويف الى القاهرة . حيث تنتهى رحلتى ، وتحقق نجاتى . . .

وفي الصباح المبكر نهض « شكرى » متسلحاً بالسكّتان الى حيث يوجد الزورق البخارى والمساكر والضابط الشاب . وشرع الزورق يتحرك فقفز فيه . ولكنه لم يشعر إلا والضابط الشاب ينهال عليه بمصاه هو وعساكره ليحولوا دون نجاته ! . . .

وضاع الامل واضطرب برنامج الرحلة من اوله لآخره . . .  
وعاد بعد ان ودع النجاة ليستقبل الخطر !!!  
وفي طريق العودة وسط المزارع ارتمى على جذع شجرة يفكر  
في شيئين :

(١) مريم . . .

(٢) حياته . . .



وكان التعب قد أخذ منه مأخذه . وشعر أنه في حاجة شديدة الى النوم . ولكن كيف ينام قبل ان يطوف بدار القنّاة . واتجه نحو الدار فوجدها مقفّرة . وعلم ان الاسرة القبطية رحلت الى مسقط رأسها وعاد الى الفندق فوجد غرفته لم تحتل بعد . ووجد على المنضدة ورقة صغيرة اخرى فيها هذه الكلمات : « سيصلك رسول وخطاب عند وصولي باخبارى . فدنى بأخبارك فان كنت قد سافرت فاكتب الى بعنوان والدى ( . . . . . ) لاطمئن على سلامتكم . لك عواطفى وعهدى » . . .



وكان الموقف يستلزم عملاً حاسماً وسريعاً . . .

ولسكنه لم يوفق للعمل الحامم السريع في اليوم التالي . بل شعر  
بوحشة لم يشعر بها طوال أيامه بأسير . فقد كان اخوانه الموظفون  
يتحاشونه ويتباعدون عنه . اذ قد سرى بينهم انه « محل تحقيق » . . .  
وفي المساء وقد عليه شاب اسمر اللون ، عصبي المزاج ينتفض  
خوفا . وتقدم الشاب فعرفه بنفسه بصوت خافت قائلا : انه قريب  
« مريم » ومساعد المحققين . . . ثم ساءله بلهجة الخوف : الم تدبر  
أمرك بعد ؟!

قال : دبرت . وفشلت . . .

قال : لايزال في الوقت متسع . إن أوراقك تحت يدي وسأؤخر  
عرضها . ولكن لانطمع في أكثر من يومين أو ثلاثة أيام . . . واني ادلك  
على طريق . لقد عادت قطرات السكة الحديدية للمسير . ولكنها  
قطرات حربية فقط تحتاج الى « جواز سفر » . . .

قال شكري : ولكن من يمنح الجواز ؟

قال : السلطة العسكرية . . .

فضحك « شكري » وقال : إذن الجأ الى الاتهام في فرارى ! !

قال : انهم لم يعرفوا شخصيتك بعد . وانما الكلام حول النشيد  
وحول البحث عن مؤلفه . فعندك فرصة !

قال له : شكراً . كيف الأسرة ؟!

قال : رحلت . ولكني سمعت ان في البلدة حوادث حصلت أمس  
واليوم . وسأبلغك اياها ان تأخر فرارك . . .

قال : بالله عليك لا تضن على بالتفاصيل . ثم ودعه شاكرأ  
وانصرف الشاب ...



كانت حالة « شكرى » النفسانية سيئة للغاية : فى البلدة حوادث !!  
ولكن ما شأن « مريم » بها إلا ان تذعر أو تخاف . وقد ذعرت وخافت  
فى أسيوط . . . لا بأس ! ان القطر كله حوادث ...



وتحمرى « شكرى » فعلم حقيقة ان « القطرات الحربية » تسير .  
ولكنه علم ان « ويصا بك » من كبار الوجهاء والاعنياء طلب جوازاً  
بصفته قنصل أمريكا فرفض الطلب . . . وان الحصار تام وأنه من  
المستحيل ان يظفر بتلك الامنية ! ...



وأخرج « شكرى » أوراقه يفحصها ورقة ورقة ليعدم منها ما يمكن  
ان يكون محل شبهة . فوجد بينها « تذكرة العضوية » بناديه القاهرى  
الذى تبارى مع نادى أسيوط . وخطرت له فكرة طارئة فقال فى  
نفسه : « الانكليز قوم « سبورت » يقدرون الرياضة والرياضيين .  
والرياضة لادين لها ولا جنسية . وهى تخلق بين جميع الاجناس والملل  
نوعاً من التضامن والتساند والتعاون . فلنجرب تذكرة العضوية والهبة  
الرياضية !

وكان يعلم ان من بين مدرسى المدرسة الثانوية الانكليز مدرس  
يدعى المستر « سنودن »

وكان يعلم انه ارتبط مع بعض أقاربه في القاهرة بعلاقات صداقة  
متينة . وكان يعلم انه لعب أمامه في المباراة التي حصلت بين نادى القاهرة  
ونادى أسبوت ...

وتشجع وذهب لزيارته وعرفه بنفسه وذكره بالمباراة ...

قال الانكليزى : كيف حال ابراهيم ، وحسين ، وكال ... ؟

قال : جميعاً بخير ..

قال : ما قرابتك بهم ... ؟

قال : أولاد أعمامى ..

قال : وما رأيك في المباراة التي حصلت بيننا؟

قال : لولاك يا مستر « سنودن » لغلبننا كم « دسته » ..

واستغل « شكرى » غرور الرجل وكان مبتدئاً في « كرة القدم »

ومن السهل اغراء المبتدئين

وكانت النتيجة انه ارتاح لمحدثته وتبسط معه ثم سأله : « ولكن

كيف لم تعد مع ناديك ؟ »

فأبرز « شكرى » تذكرة العضوية وأطلعه عليها

ثم قال له : لهذا جئت لتساعدنى فى الحصول على جواز سفر فى

القطار الحربى . تأخرت عن السفر لأن والدى انتهز فرصة سفرى

لاسيوط فأعطانى سبعين جنيهها لاأشترى « حميراً » . فاسيوط مشهورة

بنوع « الحمير » ووالدى مزارع ..

قال : ألم تشترك فى الاضطرابات ؟ ..

قال : وكيف ؟ اننى لا أعرف احداً هنا . وقد سافر أعضاء

« النادى » وبعد يومين اثنين قطعت المواصلات . وأنفقت المبلغ . ولم  
أوفق الى شراء « حمار واحد » .. وأريد الآن ان اعود ! ..  
قال : تعال ..

وأخذه الى الضابط المختص ويسمى المستر « ترنك » وعرفه به . وفي  
الحال حرر له جواز السفر على الوجه الآتى :

( شكرى .. )

( تاجر حمير )

( يصرح له بالسفر على القطار الحربى باكر )

( وجهته القاهرة )

\*\*\*

والتقط « شكرى » الجواز شاكراً صديقه الانجليزى وعاد وهو  
يخفى السر على نفسه . . .

# تفتيش حتى الساعة الثانية صباحا

وجوب جلاء الذكور عند التفتيش : . . .

في المساء نادى المنادون بأن السلطة العسكرية ستفتش البيوت حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ! . . .

وان السلطة تأمر بأن لا يكون موجوداً عند التفتيش جنس « الذكور » ممن هم فوق الثانية عشرة ؟ !

وان الطرق ستراقب ويفتش المارة من الآن حتى الساعة المحددة ؟ !  
ما الفكرة في ابعاد الذكور ؟ !

روعت أسيوط كل الروع بهذا النبأ فهجرت الاسر المسلحة في الحال  
منازلها وقضت الليل في الجبانات على بعد كيلومترات . . .

وهاجرت الاسر القبطية الى العراء على مسافات تتراوح بين خمسة  
عشر كيلومتراً وعشرين

وانتشر الذعر وفقد الناس الادراك خوفاً على « الاعراض » !

☆☆☆

العرض ؟؟؟

وما مناسبته ؟

قالوا ان الذئاب الوحشية العسكرية سطت على الاعراض في نواحي  
الاقليم . وهذا هو سر الهلع وسر الرعب وسر الفرار ؟

ولكن «شكرى» كان مشغولاً برحلته في الصباح على القطار  
الحربي فلم يعبأ بهذه الحكاية

ونشر الليل ظلامه على «أسوط» الباكية، ودقت الساعة الواحدة  
فكانت شبه خالية من العائلات. ووجدت السلطة انه من العبث تنفيذ  
الامر فعدلت في اللحظات الاخيرة . . .

ونام «شكرى» ليلته مضطرب النفس ، قلقاً ، يستشعر نكبة ،  
ولسكنه لا يحس إلا أنها ستحل بشخصه



وأخفى الامر عن أعز أصدقائه . لا من ناحية عدم الثقة بالاصدقاء  
ولكن من ناحية عدم الثقة بشهوات اللسان

وفي الساعة الخامسة صباحاً نهض من فراشه وجمع حوائج نفسه  
الى القطار

وكان قد أرسل ورقة الى قريب «مريم» في الليل يخبره بنجاحه  
وسفره في هذا الميعاد

وأخذ مجلسه في القطار في الدرجة الثانية او الثالثة لا يدري . ومر  
الضابط والجنود الانكليز يحدقون في وجهه لانه كان الغريب والمصري  
الوحيد بين الركاب

وأبرز لهم الجواز اكثر من عشر مرات فكانوا يقرأون  
ويندهشون

وفتشوه مرات كثيرة فلم يجدوا معه بالطبيعة شيئاً . . .

وصفرت القاطرة . . .  
وبدأ القطار يتحرك . . .

☆☆☆

يا إلهي . . .

إن القدر القاسي يتمخض عن شيء عنيف رهيب !  
كان هذا شعور انفتى . وقد أحس ظلاماً في داخلية نفسه وهو  
يودع « اسيوط » المنكوبة  
وتحرك القطار وسار متنداً فأطل من نافذة ليودع الذكريات  
الكريهة والمحجوبة  
وإذا به يرى رجلاً يجري بسرعة على محاذة القطار وهو يلهث من  
التعب ولسانه لا يفتأ ينادى : الاستاذ شكرى ... الاستاذ شكرى ...  
ويعمد يده فيأخذ من الرجل طرفاً مجللاً بالسواد . . .

! ?

. . . . .

الظرف بلا عنوان . . .

من يكون الخطاب ??

وهذا السواد !؟

وهذه المفاجأة !؟

من يعلم بسفري في هذه الساعة الاقريب « مريم » !؟

يا إلهي . . .

هل ينعاها !؟

ويرتجى الفتى بعد هذه الخواطر السريعة وقد خارت قواه . ثم

تنتابه اغتمامة : لا هي باليقظة ولا هي بالخامدة . . .

والقطار يسير . . .

والضباط تمر زاهبة آية . . .

وهو يفوق من المفاجأة ولا يملك ان يخلّص فرصة لفض الخطاب . . .

ولسكنه يشعر أن فيه « نكبة » فيسكى لها سلفاً وتحت الحساب . . .

☆☆☆

ويفض المسكين التعس الخطاب بيديه المتشنجتين فيجد الخط خط

« مريم » دون ان يقرأ فيحمد الله

إنها لم تمت . . .

ربما كان الميت أباهَا او امها او واحداً من ذوى قرباها ...  
وينتفش قليلاً ...

ثم يتشجع ويقرأ الكلمات الاولى فى الخطاب وها كها :

« سُكْرِى ... »

حسناً . توجيه عادى فيه كلفة زائلة ...

ثم يقرأ الفقرة الثانية فتدوى فى القطار صرخة داوية كالتى دوت  
فى غرفة المكتب منذ شهور ...

ويسرع الجنود والضباط فيجدون القى، نصف ميت فيتصدقون  
عليه بشئ من «الكلونيا» و «النشادر» ثم يعود اليهم برودهم الانكليزى  
فيتركونه وشأنه ...

« اعزبك فى روت الثانية ! ... »

« لقد ماتت صريم ! ... »

ياله من غبي . استيقظ يابنى . وثب الى رشذك . كيف تصدق وفاتها  
وهذا نعيها بخطها . كيف تنبئك الميتة بأنها ماتت ؟ !

يا لك من متسرع . اقرأ اقرأ !!!

ويعاود القى ادراكه ، ويطمئن نوعاً !!! ثم إذا بصرخة ثانية أقوى  
من الاولى . وإذا به يهجم على الضابط وعلى الجنود ينشب فيهم أظافره  
ويعض أجسامهم بأسنانه . ثم اذا به يتجه فجأة نحو النافذة يحاول القاء  
نفسه فى عالم القضاء !!!

ويقبضون عليه بأيديهم الفولاذية فيسقط بين أيديهم على الأرض  
فاقد الرشيد مغمياً عليه . . . . .

☆☆☆

ان بقية الخطاب كانت ما يأتي :

« انه زئبا اوسترااليا افترسنى . . . »

« حاولت الانتحار وسأحاوله . . . »

« خطبتك مفسومة . . . »

« الوداع بامسكين . . . »

« ثروت الثانية »

« مريم . . . »

. . . . .  
. . . . .

## عليك ...

فى حى شبرا شارع نسبت اسمه يتفرع من شارع « شكولانى » ..  
المنزل نمرة ٤ فى هذا الشارع الذى نسبت اسمه منزل أتيق ...  
وفى ذلك المنزل الاتيق ، وفى الدور الارضى . غرفة كسيرة الجناح  
أعدت « للعليل » القادم من أسيوط ...  
يتلصص سكان المنزل حول باب الغرفة بمحذر ووجل . ولهفة  
وفضول ...

« شكرى » مريض !

مرضه : صفرة . وهزال . وشروود ...

الثمانون كيلو هبطت الى الستين ...

الدكتور « سلمان عزمى » يعود المريض صباحاً . ومساء ...  
ويقول أصدقاءه المريض الأطباء : انه « البرد الشديد » تارة - أو  
« الشراب » تارة أخرى - أو « الخوف » حيناً - أو « جو أسيوط »  
أحياناً

طبيهم جميعاً خائب : « شكرى » ما شكأ برداً ، ولا شرب شراباً ، ولا  
شعر بنحوف ، ولا تأثر بجو ؟

مرضه فى « القلب » . ولكنه مرض لم تكشفه يد طبيب ، ولم تنبئ  
به « سماعه »

كان المرض « ثروت » الاولى . و « ثروت » الثانية !!!

☆☆☆

كانت حكاية الحب وماآسبه بعيدة كل البعد عن أذهان أفراد  
الأسرة ...

والعشاق نوعان : نوع فياض . ونوع كتوم ! ...  
وعند النوع الثانى العشق سر مقدس ! ...  
وهؤلاء هم الذين يتعذبون ...  
وصديقنا كان من النوع الثانى ...

\*\*\*

وكانت وطأة المرض عليه عنيفة : كان يجب ان يستلقي على ظهره  
فى فراشه وان يسترىج ... وأن لا يتناول الا اللبن فى الصباح ،  
والظهر ، والمساء . وكان يجب أن يدلك جسمه بالكلونيا بين حين وآخر .  
ثم كان يجب ان لا يتكلم ! .. وكان هذا كل ما يتمناه ...

وكان عذراً يخفى وراءه . ويخفى سره المعروف للقراء ... ولكن  
كان لا بد له ان يرسل تلغرافا . ولمن ؟ لوالد مريم !! يا للخرج ...  
ماذا يقول ؟؟ أخذ ذهنه المضعضع يفكر فلايجود ... لكن كان لابد  
له ان يفعل . وبالجراة العشاق ! أخذ ورقة وسطر بعد العنوان هذه  
الكلمات : « أطلب يد مريم . اريدها زوجة . اتوسل اليك . بلغها  
وأنقذها . أعتذر عن الحضور بمرضى الشديد »

شكرى

وكان لا بد له من رسول جاهل لا يقرأ ليرسل التلغراف . وخدام  
المنزل توافرت فيه الصفة . فأعطاء التلغراف وزوده بالكتمان !

# الاب والام! ...

في ناد من اندية الرياضة . في مدينة من مدن الاقاليم . سألتني مسز « والتون » هذا السؤال : أيهما أفضل زوجي ، أم ابني ؟ قلت : لم أفهم سيدتي جيداً . عفوك ؟

قالت : المشكلة بيني وبين زوجي هي ما يأتي . أنا وهو مقيمان في القطر المصري . وابني « دجلس » يتعلم في الوطن ، في إنجلترا ... والولد في حاجة الى الاشراف والى الرقابة والى الاعداد . وزوجي هنا محتاج لخدمتي ... لمن اكرس وظيفتي ؟

قلت : لزوجك سيدتي ! وبلا تردد !

قالت : و « دجلس » الصغير ! ...

قلت : سيكبر ويترعزع ويشدد ويكدد ويكافح ويطمع ويطحح ويجب ! وهو في كل ادواره هذه لن يفكر في « الاب والام » ، إلا تفكيراً ثانوياً . .

أما مطامعه وميوله وكفاحه ووجهه فستحتل المكانة الاولى . والمنزل

الاسمى ! ...

في « الابناء » عقوق طبعي . وهم إن أدوا للوالدين الواجب فيالبعد المسافة بين عواطفهم نحوكم وعواطفكم نحوهم ! زوجك أولى بعطفك وحبك ووفائك وولائك . وزوجك أبقي وأوفى . فكرسي وظيفتك للمسكين . ودعى الابن للزمن . . .

هذا « شكري » هل بكى لايه أو لأمه مثل ماقد بكى لثروت ولريم ؟

هل فكر في ابيه وفي امه مثل ما قد فكر في ثروت وفي مريم ؟! وهؤلاء الكبار العظام هل فكروا في « الزوج العجوز » مثل ما قد فكروا في مطامعهم ووظائفهم ومرتباتهم وسعادتهم ؟!

الدنيا المادية لم تترك مجالاً لعواطف الابناء نحو الآباء إلا بقدر . ولكنها لم تمس مجال نار الحب المشتعلة في صدور الآباء للابناء . . . .  
وتسائل الابناء الفلاسفة في هذا العقوق فيقولون لك بكل جرأة :  
لم يمن علينا الوالدان ؟! إنها لحظة من لحظات اللذة والمتعة مضياها معاً فجننا الى الدنيا رغم أنفهما وتحت ضغط البيهيمية الحادة ، فهي عملية تفرج . . . .

فاذا ما ذكرتهم بالعناء والتعب في عهود الولادة والفظام والمرض والتربية والاعداد ، أجابوك بكل جرأة : انه واجب ترتب عليهما وأثر من آثار الجريمة . . . .

فاذا ما لمحت لهم بالسعادة التي يتمتعون بها في الحياة وبالمركز والحنية ، اجابوك بكل جرأة : اين هي السعادة ؟! إن الحياة مضنية منهكة فهي اساءة وليست احساناً . . . .



هذا العقوق الملموس المحسوس لم يغير من طبيعة الآباء نحو الابناء فبقيت كما شاء لها الله ، بلسما للجراح ، ودواء وشفاء للأبناء المرضى ، والمنكوبين والمجروحين . . . .

وهكذا يقطع الفتى منا أشواطه المختلفة في الحياة فتلقاه أحضان ، وتهجره أحضان ، وتنبذه أحضان ، فاذا ما صرعه الكر والفر واللف

والدوران ارتدى في النهاية بين أحضان الوالدين . . .  
وهي أحضان لا تتعب ، ولا تحون ، ولا تتكب ، ولا تنتكر ، ولا  
تجحد ، ولا تتدل ، بل هي تحت أمر الابناء عندما يحل بهم الشقاء ...  
هي الكهف ، وهي الملاذ ، وهي الدير ، وهي الوقاية ، وهي الشفاء !!!  
هي معبد التكفير عن الخطايا ، وهي مورد التوبة ، ومصدر  
الغفران . . .



وأذن الدكتور « سليمان عزمى » للمريض بعد شهرين أن يتريض.  
وأن يسير باقتصاد . وان يتناول الليمونادة ، والتمر هندی ، والبرتقال  
وغيرها من السوائل ، فخرج من سجنه يتوكأ على عصاه ويجلس في  
أقرب قهوة يقدم نفسه لاصدقائه من جديد بعد أن تغيرت سحته  
وبرزت عظامه وغارت عيناه . . .

أما زهته فكانت الى مكتب التلغراف . فهو لم يتلق رداً من والد  
مريم . فاخذ يرسل برقيات مختصرة قاصرة على السؤال عن الصحة  
تارة لابيها وتارة لقرينها صاحب واقعة النشيد . فلا يحظى بردا . . .

# السيدة مريم

أشفق على القراء ان اروى لهم تفاصيل الاقتراس . وتفصيل النكبة .  
وحش من وحوش الغابات لا من وحوش الادميين ، مزهو بقوته  
وحيوانيته ورصاصة وحديده ، هاجم بفرقة بيوت اعيان البلدة المفجوعة  
في الظلام بحجة التفيتش عن السلاح ، اثر على الفتاة في ركن من الاركان  
فامر باعتقال الرجال وحجز باقى السكان في غرفة . ثم اختلى بالفتاة  
فكانت هى ، وهو ، والشيطان ، وأخس ما فى هذه الدنيا من ندالة  
وعفونة وسقوط ! . . .

ونشبت المعركة الحامية بين الذئب الضارى والحمل الوديع . . . وماذا  
تنتظر ؟

إن فى المرور بسرعة على تفاصيل الفاجعة بلاغة ينجل أمامها البيان  
والاطناب . . .

ولن يقوى قلمي العف على الوصف وعلى الرواية . وأقر بعجزى  
وأفضل أن اسدل الستار . . .

وخرجت الفريسة النبيلة البريئة المحتلسة من النضال نصف مية .  
وقد شج رأسها وسال الدم على وجنتيها . وتركها الوحش السكاسر وقد  
فقدت حتى الامل فى الامل . . .

وجاء الاب من المعتقل وزحفت الام من الحجز وتجمع الاقارب  
والخيران فلما تبينوا الامر سقطوا صرعى أمام الفضيحة !!! . . .  
والدم فى الصعيد يغلى ويفور بغير منطلق وبغير تفكير . فقد زحف

الرجال المنكوبون على المعسكر يحاولون الأخذ بالثأر فكانت فاجعة  
أخرى وكانت مذمجة ...

وعاد الأب كالمجنون يريد أن يثأر لعرضه . ولكنه لا يظفر بالمجرم  
أين هو ؟ ومن هو ؟ وكيف السبيل إليه ؟ . . .

إذن ليلطمن وجهه ، وليضربن برأسه الحائط ، ولكن كيف يشفي  
الغليل ؟ ! . . .

يا للخواطر السوداء تنتاب فاقدي الرشد والمجانين . ان الرجل  
الثأر لعرضه يختطف سكيناً ويشحذها شحذاً ثم ينطلق كالسهم الى فلذة  
كبده . الى المظلومة . الى الحبة العزيزة الغالية . الى ابنته مريم ... ثم  
يرفع يده هاتفاً : ارحمني يارب . ثم يهوى بها للقضاء على الفتاة ...

وهو اذ يوشك ان يسفك دم ابنته بيديه . يشل القدر العادل هذه  
اليد الطائشة وليس بينها وبين الاحشاء إلا ثانية . . .

أما رسول العدل ورسول السماء فكان شاباً قوياً شهماً ، قبض على  
الذراع بأسرع من لمح البصر وانتفض كالاسد يزأر ويدود !!!

قال الرجل : أنقذتها . . .

قال الشاب : من ايها . . .

قال الرجل : وهل انقذتها وانقذت أباهاً من الفضيحة ؟ !

قال الشاب : سأفعل . . .

قال الرجل : أترد العرض المنتهك ؟ ! . . .

قال الشاب : سأفعل !!!

وهنا يرتقى الرجل من الخذلان واليأس يبكي كالثكني . ويدرِف  
الدمع السخين . . .



وتتنبه الفتاة رويداً رويداً ثم تصرخ صرخة ما أشقاها وما  
أوجعها . . . ثم تتوالى الصرخات بأنغام الدهشة ، والامسى ، والوجيعه ،  
واليأس ، وحوها سيول الدموع ! . . .

الجو كله وجوم . ومن يستطيع أن يتكلم ؟ بأية لغة ؟ وبأى  
معنى ؟ . . .

ان المصاب يجل عن الغزاء . . .

الفتاة العظيمة التي كالتحت كفاح الابطال ، وأصيبت بالرضوض  
والجروح لا تخضع للنكبة ، بل تنصب واقفة وتتمم : ليس بي شيء . اريد  
أن أتقيأ . سأذهب الى المرحاض . . .

وتذهب أو ترحف الى المرحاض مبتسمة ابتسامه صفراء نكراء  
وبقفزة لم تدركها القلوب المحيطة بها وبمصاها . . . تصل الى المرحاض  
بسرعة البرق الخاطف ، فتقبض على زجاجة « حمض الفنيك » وترفعها  
الى الفم الانيق وتوشك ان تتجرع !!! . . .

ولكن الشاب القوى الشهم رسول العدل ورسول السماء شل  
يدها كما شل يد أبيها . . .

وهوت الزجاجة على البلاط تهشم وتسيل ! . . .

ثم حملها بين ذراعيه الى غرفتها وأجرى لها بقوة الايمان الاسعاف

بالرغم منها . ثم أرصد عليها وعلى أبيها الحرس وغاب لحظة ثم عاد ومعه قسيس ؟ ...



وفي وسط هذا المأتم يتقدم الشاب القوى الشهم رسول السماء الى أبيها طالباً يدها . . .

يا للمفارقات ! ويا للمتناقضات ! ويا للمفاجآت ! . . .

الشاب استاذ مدرسين يحمل أرقى الشهادات ويرتفع بنسبه وحسبه على اقرانه . فهو مطمع كل عروس . وأمل كل أب وأم . . .

ولكن الاب يجيب الدعوة النبيلة بالرفض النيل . . .

ولكن الفتاة تستقبل هذه البشرى المنقذة باللطم وبالعويل . . .

يا أرق وأرقى العواطف المتبادلة : علتك ان في طريقك كرامة !  
وفي طريقك تضحية ! . . .

الشاب يضحى . . .

والاب والفتاة تحت ضغط الكرامة يأيان التضحية ! . . .

ولكن هذا الشاب الجبار كان مستعداً لكل معضلة . ها هو يوجه للاب السؤال الحازم : امصر أنت على الرفض ؟ . . .

فيجيب الرجل : بدون تردد ! . . .

فيقول الشاب : اذن وداعاً . . .

وتنطلق من مسدسه على رأسه رصاصة تحيب ولا تصيب ! . . .

وينخدع الرجل بهذه المناورة المسبوكة فيقبض على يد الشاب

ويهتف : قبلت ! قبلت ! . . .

وينقلب المأتم الحزين عرساً حزيناً ، ويتولى القسيس عقد الزواج  
ومريم مستسلمة !!!...

وهكذا يبر الشاب بوعدده فينقذ العائلة من الفضيحة ويرد العرض  
المتهك . . . . .  
. . . . .

# واجبي! ...

الهزيل العليل خريج المرض يتوكأ على عصاه ويسير ببطء الى  
قهوة منزلة في حى شبرا وكله هواجس وأفكار ...

انقطعت صلة « شكرى » بالآنسة « مريم » وبأخبارها من يوم ان  
أرسلت له الخطاب الاسود . وكل ما يعلمه هو ما ورد في ذلك الخطاب  
المشئوم : « أن وحشاً أوسترالياً اقتربها - وأنها حاولت الانتحار  
وستحاوله - وان خطبته مفسوخة » ...

لم يتردد الشاب الاصيل في أن يحول قدره ما يستطيع دون محاولة  
الانتحار . ولم يتردد في اختيار الموقف النبيل . فأرسل تلغرافه الى والدها  
يطلب الزواج من المنكوبة في أعز ما تملك ويتوسل الى الوالد في إنقاذ  
الفتاة . ولكنه لم يتلق رداً ...

وكانت في الواقع مجازفة صبيانية من « شكرى » . فان خطبة تعرض  
بالتلغراف لهى خطبة عجيبة ! ثم ماذا يعلم عنه والد « مريم » ؟ ماذا يعلم  
عنه ، وعن كفاهته ، أو ديانته ، أو حيثته ، أو أسرته ؟ لا شئ ...  
ولكن ماذا كان يستطيع أن يفعل المريض طريح الفراش الواهى  
القوى . ماذا كان يستطيع أن يفعل للحيلولة دون نكبة الانتحار  
ولتحديد موقفه إزاء الفاجعة ؟ !

لا شئ . إلا ما فعل ...

ها هو اليوم قد استرد شيئاً من عافيته . وأصبح كفتاً نوعاً ما  
للسير ... وللبحث ... وللتحرى ! ...

ولكن التلغرافات المتوالية التي لم يتلق رداً عنها ماذا كان مصيرها؟  
وماذا كان شأنها؟ وهل كان اهمال الرد لنكبة وكارثة؟ أم لاحتقار  
وازدراء؟ أم لمجرد الاهمال؟

أخذ يفكر ويفكر حتى كشف الغبي فجأة انه في منتهى الغباء! ...  
كان امضاؤه الكريم على التلغرافات «شكرى»!؟  
ومن هو «شكرى» هذا من بين سكان القاهرة. وما هو لقبه  
وعنوانه!؟

إذن «مريم» معذورة ووالدها معذور. وإذن فعل التلغراف الاول  
فعله بما فيه من انذار بعدم الانتحار. وبما فيه من نبل وتضحية بطلب  
الزواج ...

فلم يبق عليه إلا أن يذهب ...

☆☆☆

ورد التلغراف على والد «مريم» بعد عقد الزواج بأيام. فلم يفهم  
منه شيئاً ...

انه لا يعرف «شكرى» هذا ولا يذكره. هل يعرض البرقية  
العجيبة على زوج ابنته؟ لا! ... انها سخافة وحماقة. ففيها وحوها  
ما يمس كرامة الزوج الشهم وما قد يمس كرامة الفتاة ...  
إذن «مريم» وحدها التي تعرف السر ...

ويذهب الوالد بتلغرافه الى الفتاة - وهي لا تزال تن من الجروح  
والروض ومن تأثير الحوادث المفاجئة - فيقرأ عليها فتتنفض  
مضطربة وتصدر زفرة حارة تعقبها دموع ...

— ماذا يا ابنتي؟

— لا شيء يا والدي . ان في الدنيا اخلاقاً ! . . .

— من مرسل التلغراف؟

— منقذى في اسبوت ! . . .

يذهل الوالد هنيهة ويعاود ذا كرته . ثم كأنه يلحظ ما انتاب كريمة  
من ذكريات أليمة . ثم كأنه يدرك انه لا يدرك شيئاً فيفر من التفاصيل  
فراراً ويسألها : . . .

— اترد عليه بالشكر وبأنك قد تزوجت ؟ !

فتبتسم الفتاة ابتسامة صفراء منكرة . وتغطى وجهها بيديها الهزيلتين  
وتستغرق في التفكير وقد تجلى أمام عينيها الموقف المدهش العجيب :  
كارثة — وزواج — وخطبة بعد الزواج — ونبل من الزوج — ونبل  
من الخطيب الغريب ؟ !

ويحذق الوالد في التلغراف ثم يصيح فجأة : من هو شكري هذا؟  
انه بلا لقب وبلا عنوان . فاذا نفعل ؟ !

قالت الفتاة : لا شيء يا والدي . لنتظر ولنفكر . . .

☆☆☆

وهل تدرى فيم كانت تفكر « مريم » ؟؟

في الانتحار وفي الانتحار دائماً . . .

إنها بين نيران ثلاث :

نار الكارثة — ونار الزوج الشهم — ونار المحب الوفي !!! وكيف

توفق بين هذه الاوضاع المتباينة . ان شخصيتها هي الاساس . فاذا  
انعدمت هذه الشخصية استراحت وأراحت ...

ولكنها تريد الانتحار كاملا لا شروعا في انتحار . وهي لا تملك  
الوسائل وهي على السرير . فلتصبر حتى تملك شيئا من قواها . وحتى  
تستطيع ان تختار أسهل وأسرع وسائل الهلاك ...

إن الصغيرة الواهنة المهذمة ضعفت عن ان تقاوم جيوش الهم والغم  
والذكريات والمواقف الفذة المتناقضة ، فاشتد عليها المرض وحمدت الله  
على اشتداده راحية ان يكون في « الموت الطبيعي » خلاص من « الموت  
الصناعي » وخلاص من كل ما فات ...

واجتمع الاطباء وتشاوروا وتداولوا فقرروا نقلها في الحال الى  
المستشفى في أسبوط ...

وحملها الاب المسكين . والزوج الشهم الى مدينة الذكريات الاولى .  
الى مدينة الاحلام والآمال ...

. . . . .  
. . . . .

## رحلة ...

« شكرى » يستأذن والديه فى الغياب يومين أو بضعة أيام عن القاهرة .. ها يسألانه عن السبب فيقول : انها « رحلة » ...  
رحلة لترويح خاطر واستنشاق الهواء الطلق بعد المرض ...  
فى محله . ولكن أين ؟

والجواب ليس من « الصعوبة بمكان . انه يستطيع ان يلفق أ كذوبة محبوكة يتخلص بها من التحقيق وقد فعل ...  
و « الشنطة » الصغيرة الحجم التى اختارها أيدت دعواه . وقد  
وضع فيها بعض الحاجات الضرورية لفسحة قصيرة . وسنتعرض حتما  
لهذه الحاجات الضرورية فى الحين المناسب . اذ كانت بينها « حاجة »  
تلفت النظر وجدت مدسوسة دسأ بين البيجامة وفرشة الشعر ومشط  
النسر ومصحف صغير فيه كلام الله ...

☆☆☆

وهو يطلب عربة ويساوم الحوذى على الاجرة بحساب الساعة .  
إذن له جولة فى القاهرة لا يعلمها إلا الله . وهو !  
ويقبل والديه وإخوته واخته الصغيرة . ولكن ما باله يضطرب  
نوعاً ما ؟!

لا شئ . انها الرحلة القصيرة . والرحلة القصيرة بعد المرض  
الطويل ...

☆☆☆

ويسير الحوذى مسافة امتار ثم ينحرف الى اليمين فى شارع شكولانى ثم الى اليسار فى شارع شبرا ثم يستمر ويستمر طويلا حتى يصل الى ميدان « الاوبرا » ثم ينحرف الى اليسار حتى يقف أمام محل « يلدز » الحلوانى ...

« يلدز » !؟

هل يذكر القراء أن هذا الاسم مر عليهم وهم يقرأون هذه القصة؟  
أين؟ وفى أى موضع؟

نعم ...

فى السنة الماضية . سنة ١٩١٨ . فى الساعة الثالثة بعد الظهر . فى ساعة القيلولة أو قبل الغروب ...

عندما كان يحمل من ذلك المحل هدية متواضعة لصديقة النهار .  
للمرحومة « ثروت » !

وها هو يشتري بعض الفطائر بغير ترو وبغير تدقيق لا فى الصنف ولا فى الثمن . والعامل « الرومى » مذهول يقترح فيجاب اقتراحه . حتى تتم عملية الشراء والدفع . فيحمل الحمل الخفيف الثقيل الى العربية ويأمر الحوذى بالذهاب الى بائع زهور فى شارع المغربى فينتقي الزهور الحزينة الباكية ... ثم يأمر الحوذى بالذهاب الى سوق الخضار بميدان العتبة الخضراء فيشتري فاكهة الموسم بجميع أنواعها ... حتى اذا تمت له كل هذه الصفقات وجلس فى العربية سبح فى بحر الخيال ...

ويلمح الحوذى ذلك الشرود فينبه الزبون بهذا السؤال :

— الى أين يا سيدى !؟

فيجيب : الى جبل المقطم ...

☆☆☆

هذا قبر القتيلة ! ...

وهذا القاتل ! ...

موقف من أتعس المواقف البشرية . وإن الزيارة هي الأخرى  
في القيلولة وقبل الغروب ... وتفد الذكريات تراحم الذكريات ثم تنتهي  
الى المصرع ! ...

ويقف « شكرى » جامداً ثم يرتدى فجأة على القبر واهي القوى ،  
مضعع الحواس حتى يأتي حارس القبور فيغنى به ويقدم له الماء ...  
ويظل فتانا شارداً زاهلاً ثم يصيح : « رحماك ثروت » ...

ثم يتطلع مستنجداً بحارس القبور ويشير الى زهوره ، وفاكهته ،  
وفطائرہ ... فيتولاها نائراً الاولى على القبر ، وموزعاً الثانية والثالثة  
على الفقهاء الذين أقبلوا مسرعين كأنهم على ميعاد ! ...  
ويرتلون ويقرأون ويدعون ويترحمون ...

ثم يشير اليهم الحارس بالانصراف وينسحب على مقربة من القبر ،  
ويترك القبر ومن فيه لزائر القبر ! ...

يطيل الكتاب القصصيون في أمثال هذه المواقف . كفاءة  
لا أملكها أو هي صنعة لا أحذقها ، ولا أفهمها أيضاً ، وأنا قانع بأن  
أوجد قرأني حيث يوجد أبطالى . ثم لا يحتمل الموقف بعد هذا اطناباً  
ولا تفصيلاً . شاركوا المؤلف في تصويره ولا تكلفوه عناء في إبرازه جملاً

وكلمات وصياغة . هي حالة نفسانية أحسها كما تحسونها اتم . اليست شجناً  
وحزناً ودموعاً ، وأنان وحسرات ، وأسى ؟  
تم في الموقف شيء من الوفاء . وفاء المحبين الاحياء للمجيبين  
الاموات !

رحمة الله على ساكني القبور . . .  
انهم لا يطالبون الاحياء الا بالذكرى . . .  
وها هو « شكري » يذكر « ثروت الاول » . قبل ان يرحل الى  
ثروت الثانية . . .

. . . . .  
. . . . .

# ... بل نعيش !!!

طالت زيارة القبر ...

ما العمل ؟

ايعود الى المتزل وقد ودع من فيه ؟

أم يسافر في قطار الليل فيصل في نصف الليل الى البلدة الصغيرة

فيكون محل ربية وموطن شبهة ؟

لا . ليقض الليلة في فندق ، على أن يأخذ قطار الصباح ...

☆☆☆

وبييت في فندق حتى اذا ما اصبح الصباح نهض يعيد نظرة على

الحاجات « التي في » شنته » ...

كل ما فيها مألوف يعني بوضعه كل مسافر في رحلة قصيرة . ما عدا

زجاجة صغيرة فيها مسحوق ابيض ؟ !!

هذه هي « الحاجة » التي قلنا عنها انها تلفت النظر . والتي قلنا

عنها انها وجدت مدسوسة بين اليجامة وفرشة الشعر ومشط الشعر

ومصحف صغير فيه كلام الله ...

ان هذه الزجاجة الصغيرة ذات المسحوق الابيض كانت محل

عنايته وحرصه . والمسحوق الابيض كمية صغيرة . فما هو ؟

لعله « شبكة » الخطبة . أو هدية العاشق للمعشوقة ؟

سنكشف امرها بعد حين ...

☆☆☆

— ( . . . ) من فضلك

ويقطع « التذكري » التذكرة الى ( . . . )  
وينزوي « شكرى » فى ركن من الاركان يمدق فى المصحف الصغير  
ويتلو كلام الله  
ويصفر القطار . ثم يسير . . .

☆☆☆

السفر طويل . بماذا يقطع « شكرى » الوقت ؟  
لقد تلا كثيراً من كلام الله  
فليفكر فيما هو ذاهب اليه . وفيما عساه ان يسمع ويشهد :  
« لئن وجدتها فارقت الحياة منتحرة . فعندى الرد السريع !  
« ولئن وجدتها على قيد الحياة فسأطلب يدها . وهى لن ترفض  
بقى أبوها وبقيت مشكلة الاختلاف فى الدين . . .  
« والقلب هو الدين . هكذا قالت هى ! فهل يقول أبوها مثل  
ما قالت ؟ !

« أستبعد ! واذن ما العمل ؟ هل تفر معى ؟ ندالة وخسة وجريمة  
ليست فى عرفنا ولا فى عرف التقاليد . . .  
« واذن وجدتها قد نسيت عهدنا وعهدى فماذا أفعل ؟ !  
لا شئ . . . أنسحب مقهوراً وأعود بعد ان اكون قد سجلت وفائى  
وواجبى ! . . .

« على الفروض الثلاثة : أنى لتعس ! . . . »  
وينغزوه النعاس ولكن لا يكتحل نوماً . فان أفكاره . وحركته

القطار . وجلبة المحطات . وعدم توافر الراحة . وثرثرة الركاب . كانت  
كفيلة باقلاقه من حين الى حين ...  
وهو في كل انتباهة يقلب المسألة على وجوهها فلا ينتهي إلا الى  
الفروض الثلاثة فيقول :  
أنى لتعس ...

☆☆☆

يا عجباً ! ...  
أتدري وقد وصل بعد طول السفر وطول التفكير ماذا قد خطر  
بباله ؟ ...

أن لا ينزل وأن يعود ! ...  
خاطر الترد هذا لا يرد عليه إلا بعد ان يتجلى له ميدان الموقعة ...  
ولسكنه ينزل أخيراً .. وهو يرتعد من هول ما قد يسمع !  
ويحوطه ويحوط « الشنطة » التي بيده الشيا لوف ، فيسأل أحدهم  
باضطراب ووجل وتوسل :

— هل تعرف منزل « فلان افندى » ؟ ...  
فيجيب الشيال : فلان افندى !  
فيقول « شكرى » : نعم أبو « مريم » ! ...  
فيجيب الشيال : آه ... مريم . ولدى ! ربنا يشفى ...  
ويطمئن الفتى ويحمد الله . انها لم تمت ! ...  
ويقفز أمام الشيال من شدة الفرح فيوقفه هذا وبنبئه بأنها في  
المستشفى بأسيوط ...

وهنا يصفر القطار مؤذناً باستئناف المسير. فيختطف شطنته في الحال  
ويرمى الى الشيال قطعة فضية ويستأنف السفر . . .  
الى أسيوط ! . . .

. . . . .  
. . . . .  
كان يجب على « شكري » أن يتنكر . وان يبالغ في التنكر . . .  
انه معروف في أسيوط : في الدوائر القضائية وفي دوائر الاسرالكريمة . .  
وكان لا يعنيه أن المحاكمات دائرة . وان نشيده كان محل تحقيق .  
بقدر ما كان يعنيه ان لا يمس مركز « مريم » وأسرة « مريم » بسوء . . .  
انه كان يجهل كل شيء . والظهور قد يجير الى مشاكل . فالحكمة  
تقضى بان يتوارى قدر الاستطاعة حتى يؤدي مهمته . . .  
وقد وصل في النهار . ولئن كان المرض الطويل قد غير ملامحه  
فقد كان من الممكن ان يعرف وان يكتشف . . .  
لم تكن له الا وجهة واحدة : المستشفى . . .  
وله في المستشفى طبيب وصديق . اختار ان يجعله موطن السر .  
ووسيلة الوصول الى المريضة . . .

أخفى وجهه بقدر الاستطاعة وركب عربة الى مسكن هذا الصديق  
وكان يسكن وحده هو وخادمه . فلما وصل طرق الباب فوجد كل  
شيء لم يتغير . وشاء الحظ الحسن ان الخادم لم يعرفه ولم يذكره فسأله  
عن سيده فقال : انه يستريح في غرفة النوم . . .  
وجلس في غرفة الاستقبال . ولم تمض دقائق حتى حضر الصديق

الطبيب : شاب من سنه ومن وسطه . وزميل من زملاء المدارس الثانوية  
الاعزاء ...

وهذا أيضا لم يعرفه الا بعد محادثة قصيرة

— شكرى ! ...

— أنا هو ...

— كيف ؟ لقد تغيرت كثيراً . انك مريض

— نعم ! ومهدم .

— دعنا من المجاملات ، لم جئت الى أسيوط وحكاية نشيدك لاتزال

حية ؟

— للضرورة أحكام . وأنا فى حاجة قصوى اليك ...

وجلس الصديقان أحدهما ما أخذ بالمفاجأة مشفق . والثانى متحفز

يود ان ينهى مهمته ...

— أنت فى حاجة الى الراحة بعد السفر . والى الطعام

— أما الطعام فليست لى به حاجة . تناولته فى القطار . وأما الراحة

فأشعر حقيقة انى محتاج اليها يا دكتور

— اذن تفضل

ويذهب به الى غرفة نومه فيقول له « شكرى » :

— متى تذهب إلى المستشفى ؟!

— عندى « نوباتشية » الليل . من الساعة السابعة مساء . وسأبيت

هناك ...

— هل عندكم فتاة ؟!

— كثيرات . . .

— فتاة اسمها « مريم » !

— آه . . . ! المسكينة

— أهي في خطر ؟

— زال الخطر الجسماني . وبقي الخطر النفساني . . .

وحينئذ يهتز « شكري » هزة جدية . ويسائل صديقه بلهجة حازمة عن ثقته فيه وفي أخلاقه ورجولته . فيؤمن هذا وقد تأثر من لهجة الكلام وأسلوب التعبير . . .

— أنا محام وانت طبيب . وكلانا موطن للسر وللكتمان . أضيرك أو يضير واجبك أن تجمعني بها منفردين في أية فترة من فترات الليل أو النهار؟ . . .

— لا . اني أثق بك تمام الثقة . ومن السهل أن تراها وحدك بعد الساعة السابعة وسنذهب معاً . . .

— اشكرك . انك تعاون في أمر مقدس يا صديقي . وامهلني اخبرك بالتفاصيل بعد المقابلة . . .

ويقترح الطبيب الشاب على « شكري » أن يبقى في المنزل حتى يحين الميعاد . ويستطيع ان يقطع الوقت في القراءة وفي الاستراحة حتى يعود اليه . ثم يرتدى ملابسه ويخرج . . .

☆☆☆

وفي الساعة السادسة يصلح « شكري » من شأنه قليلاً . ويصل صديقه الطبيب وقد استرد طبيعته المرححة فيمازح « شكري » ولكن هذا

يجاربه بتكلف . فيقول له : انك متعب يا « شكرى » وليست هذه  
عادتك . أمغرم بالفتاة انت ؟

فيجيب : ستعرف كل التفاصيل فلا تتعجل ! . . .  
ويصلان الى المستشفى ويدخلان غرفة الطبيب الخاصة وقد شمل  
المستشفى سكون يناسب الموقف المقبل . . .

☆☆☆

ويدق الطبيب دقة رقيقة على باب غرفة المريضة ثم يدخل :  
— كيف حالك الآن ؟

— أحسن . . .

— ان حرارتك عادية منذ أيام . وقد التأمت كل الجروح .  
وسنأمر بالافراج عندك بعد قليل . . .

— اشكرك . . .

هنا يلتفت الدكتور الى المريضة فيصرفها بحجة لا تثير شكاً . . .  
— فى غرفتى زائر غريب يريد أن يراك . . .

— زائر غريب ؟ !

— نعم شاب من سنى . يقول انه يعرفك كل المعرفة . وهو  
صديقى . وهو مريض . فهل تقبلين زيارته . وهل تعدينى بأن تحسنى  
استقباله ؟

وهنا تنتفض الفتاة وتجلس بحركة عصبية سريعة قائلة :

— هو ؟ ! . . .

ويلاحظ الدكتور هذا التطور المفاجيء فيزداد دهشة من هذه

الالغاز . ثم يلاحظ من ناحية أخرى أن الفتاة مضطربة مرتبكة فيخشى  
المسئولية ويجمد في موقفه ...

— أنا لا أفهم شيئاً ولا أعلم شيئاً . ظننت أنني أقدم خدمة . فان  
لم يرق لك استقباله فلن يحضر ! ...  
الفتاة لا ترد ...

والدموع المتساقطة لا تنبئ عن رفض أو عن قبول ...  
وتهذى الفتاة فتقول : لا لا ! لا أقبله . .  
ثم تقبض على يد الدكتور وتقول : لا لا ! بل يحضر ...  
ثم تعود فتوسل اليه ان ينتظر لحظة حتى تفكر وتبت ...  
ويطول امد الانتظار ثم تلقى الفتاة برأسها على الوسادة وقد  
ضعفت واستسلمت . وبصوت خافت تأذن بدخول الزائر الغريب ...



ويتسلل « شكرى » الى الغرفة تسلل اللص الشريف ذى العاطفة  
ويوصد الباب ...

يتقدم خطوة ويتقهقر خطوة وهو لا يكاد يحفظ توازنه ...  
الفتاة تحفي وجهها وعينيها بيديها ...  
هو يلقي بنفسه على كرسى بجوار الفراش ...  
وتمر لحظة سكوت وارتباك ...  
وتخرج كلمة مكتومة ضعيفة متقطعة مهتزة هي : مريم ...  
ويرد الصدى : شكرى ...

نعم : هما مريم وشكرى قد تقابلا أخيراً وتهاتفتا بالاسمين . ثم ماذا ؟!

من يشرع منهما في الحديث قبل الآخر؟ . . .  
ان مهمة الفئاهون من مهمة القاة : عنده الامل . وعنده الحب .  
وعنده النبل . وعنده الواجب . وعنده الوفاء ! . . .  
أما هي فماذا عندها ؟ !

عندها اليأس . وعندها الكارثة . وعندها المفاجأة التي تهدروا سي  
الجيل . والتي تسحق قلوب ذوي الحب وذوى الوفاء ! . . .  
ويتشجع الفتى الذي يجهل ما حدث ويطاوع قلبه فيخنو على  
صديقه يحاول أن يقبلها في جبهتها فتحول بين شفتيه وبين الحية بشجاعة  
المرضى وذوى السقام . . .

هي محقة : إنها ليست له ولن تكون له . هي إما لزوجها . وإما  
للقبر . ولا ثالث ! . . .

والمسكين لا يدري . يظن أن الكارثة التي حلت بها القت في  
روعها أن ترفض حبه وقلبه . فيعاود الكرة وتعاود هي الكرة . . .  
ويأبى القدر الا أن يحسم الموقف في هذه اللحظة . فيدق الباب  
وتدخل ممرضة فيتقهقر « شكرى » بكرسيه خطوتين . . .

وتقول الممرضة : ان « زوجك » ياسيدتى يستفهم عن حالتك الآن  
بالتليفون . . .

فيصرخ « شكرى » هاتفاً : زوجك ؟ !  
فتنسحب الممرضة ويخيم السكون . . .

. . . . .  
. . . . .

ان المريضة الكريمة فهمت واجبها بسرعة البرق بعد هذه المفاجأة .  
انها رغم هزالها وضعفها تقفز من سريرها الى حيث يجلس الزائر  
الغريب . . .

وأين هو ؟

انه موجود . ولكنه غائب !!!

هيكل من الهياكل البشرية بقي حيث وضعوه . لا يتحرك ولا  
يتنفس ولا ينظر ولا يسمع . أو هو تمثال من التماثيل غير الناجحة لا يرمز  
الى جمال او فن أو معنى ، وإنما هو قطعة من الجمد في شكل انسان ! . .  
والفتاة ؟

أستعيت ؟ أتطلب النجدة ؟ لا . إنها تلجأ الى الكلونيا فتدلك بها  
وجهه ويديه بحنو وعطف وشفقة وكرم . . .

ثم تناديه من أعماق النفس المعذبة : شكرى !  
ويجيب « شكرى » النداء فجأة . ثم يتماسك ويقف مجاهداً ثم  
يتقهقر خطوتين . وترسم عليه أمارات الحجل القاسى والارتياح اللاذع  
والاحتشام الموجه . ثم ينبس بهذه الكلمات :

— أعتذر يا سيدتى . اغتفري لى جرأتى . لم أكن أعلم . . .

ثم يخفى وجهه بين يديه ويتقهقر نحو الباب . . .  
ولكن « مريم » لا تتردد . وبالصوت القديم الخالى من الكلفة  
والمفعم بالعاطفة تأمره ان يبقى وأن يجلس . . .  
هو يتردد . . . ولكنها تكرر الامر بلهجة أحزم فيستسلم

☆☆☆

ان الصدمة كانت قاسية على « شكري » . لم يستطع أن يتكلف في أول الامر وأن يتصنع . اتضح له الموقف بغتة وبسرعة فقلب خطته رأساً على عقب . ولكنه ألهم موقف الاعتذار والاحتشام فجاء ملابساً للاكتشاف مناسباً للطوارئ المفاجيء متسقاً مع الواجب . . .

وبدأ يشعر أنه غريب . . .

ثم بدأ يشعر انه يرتكب جريمة أدبية ببقائه في هذه الغرفة ثم بدا له ان الموقف حرج . وان الوضع غير طبيعي . وان المركز دقيق . . .

و « مريم » النبية الذكية تلاحقه في خواطره هذه فتقطع فترة الارتباك قائلة :

— هون عليك . نستطيع ان نتكلم طويلاً . . .

ثم تروى له الحوادث التي مرت . أما نكبتها فتمر عليها مرأً سريعاً بحركات عصبية سريعة ويساعدها « شكري » بملاحه الحزينة وتوسلاته الرقيقة بأن تنتقل من موضوع الكارثة مخففاً لوعتها وألمها الدفين بعبارات المواسة البليغة خاتماً جهده بقوله : هي ارادة القضاء والقدر وأنت مؤمنة فاخضعي ! . . .

وتنتقل مريم الى موضوع الزواج ومناظره السينائية السريعة ولا ترضى على الزوج الشهم رسول السماء بتقرير الواقع فيتأثر « شكري » كل التأثر من رجولة غريمه ونبهه وبطولته ، فيمد يده الى الفتاة ويصاخبها وقد استعاد رجولته هو أيضاً ويقول :

« أهنتك من صميم قلبي . ان زوجك لرجل . وأؤكد لك يا مريم

اتى شعرت الآن بشيء من سعادة النفس وراحة الضمير ... »  
 قالت وقد أتمت ما بقى من أخبارها وأخبار مرضها : « انك لمخطىء .  
 ان الشاب تحت تأثير الحادث الفاجع ثارت عواطفه فأقدم على عمل من  
 أعمال الخيال . وعلى مجازفة من مجازفات الروايات . وعلى ضرب من  
 ضروب البطولة التى نقرؤها فى أساطير الأولين . لم يخترنى كما يختار  
 العريس عروسه . وإنما كان الامر أمر دقائق ... وانه لمغبون ! ... »  
 ويحاول « شكرى » أن يعترض وأن يحتج وأن يناقش . فتتظر اليه  
 نظرة حادة قاسية وتقول : « اسكت ! اسكت ! لا تغالط أيها التعس أنت  
 أيضاً . . . جئت الى وأنت مريض منهوك القوى مضضع الحواس لماذا ؟  
 ماذا بقى لى من صفات العذارى واحسرتاه ؟ ... ماذا فى من جاذبيات  
 الفتيات وقد دمغت الدمغة التاريخية الخالدة . . . لا لا ! لا تغالط . . .  
 جئت أنت أيضاً لتؤدى الواجب . لانك شاب نبيل . . . مصابك  
 - أنت وهو - انكما على خلق . أتما تعطفان وتحسنان على منكودة .. »  
 وتبكي الفتاة بكاء مرأفلا يملك « شكرى » إلا أن يقبل يدها  
 ويبكى هو أيضاً . . .

— أقسم يا مريم أنك مخطئة . اطردى تلك الهواجس واعلمى  
 انك ضحية من ضحايا الثورة ، وفريسة من فرائس الامة المظلومة  
 هيا . هيا انضى فحولك تقديس . وحولك قلوب . . .

قالت وقد قبضت على يده بشدة وقسوة وضغط : « اسمع الن  
 أكون له . ولن أكون لك . سيحظى بى القبر فهو عريسى وزوجى  
 فيها انصرف فى الحال وترحم على ! ... »

وتلمع عينا شكرى لمعاناً غريباً! ...  
إن هذا التصريح الخطير لم يهزه ولم يفعل فعل الصواعق على  
الرموس ..

انه صمد وثبت . وبكل رزانة وأتزان وتؤدة قال : أحسنت !  
نعمت النهاية ...

أخذت الفتاة بمظهره الهادى . وراعتها الرد الذى لم تكن  
تتوقعه ...

— أمتهكم؟! أم تظننى طفلة؟! —

قال : « لا يا صديقتى . لا يتهمك الناس فى مثل هذه الحالات المظلمة  
الحزينة . أنا جاد لاهازل! ... »

والفتاة بالرغم من أن قرارها الجهنمى يصادف القبول تزداد  
دهشة ... ثم تزداد جزعاً . إن « شكرى » لا تتم هيئته ، ولا لهجته ،  
ولا جملته ، عن استخفاف أو استنكار ...

ونظر فى الساعة فوجدها الثامنة إلا ربعاً ...

قال : أخشى أن أكون السبب فى تأخير عشائك ...

قالت : ليكن! ...

قال : هل اخترت السلاح؟! —

قالت : أى سلاح؟

قال : سلاح الموت ...

قالت : سأختار اسرعها وأحدها وأقساها ...

قال : عندى أمينتك . كنت أعددتها لنفسى وحدى إذا كنت

نجحت في محاولتك وسبقتني الى هناك . . . أما الآن فيا لتصاريف القدر  
نستطيع أن نساfer معاً !!!

ويخرج من جيبه « الحاجة » التي وجدت مدسوسة دساً بين  
البيجامة وفرشة الشعر ومشط الشعر ومصحف صغير فيه كلام الله . . .  
وجحظت عينا الفتاة وتحفظت وتوثبت كالنمرة النائرة وصاحت :  
شكرى ! ما هذا ؟ !!

قال بثبات وتؤدة : هذا « استركنين » . سيد السموم وسهم المنيسة  
وعزرائيل العقاقير . يتناوله الكفار أمثالنا والجاحدون أمثالنا والجنباء  
أمثالنا وأعداء الله أمثالنا فيرتمشون ويتقلصون ثم يموتون ! . . .  
وتهجم الفتاة على الفتى وقد روعها لمعان في العينين أقوى من  
سابقه وأنفذ . فيردها بذراعه الحديدية ثم يقذف بغطاء الزجاجاة  
ويدينها من فه قائلاً :

— الرجال أولاً سيدتى . وسأبقى لك نصيبك . إلى بكوب من

الماء . . .

وإذ يدنى الزجاجاة ذات المسحوق الى فه تلممه الفتاة لطمه جباراة  
تطير الزجاجاة من يده فينتشر المسحوق الشرير على الارض . ثم تركع  
الفتاد وتبكي وتتوسل وتقبل قدميه مترنمة بأرق وأروع وارحم ما عرف  
عالم الاصوات :

شكرى . . . شكرى . . . لا نموت . . . بل نعيش !!!

. . . . .  
. . . . .

# اذكرني !

ابتسم « شكري » ابتسامة الظافر . وأخذ بيد الفتاة إلى فراشها يرفق وحنان ثم نظر الى ساعتبه وساوره القلق إذ أخذ من وقتها أكثر مما يأخذه الزائر العادي . كذلك خطر له أنه أخرج صديقه الدكتور أكثر مما يجب . وخطر له أن هذه الزيارة الطويلة قد تثير لغطاً في المستشفى وإن كان على ثقة من ان صديقه قد دبر الامور كما يجب أن تدبر ...

قال : والآن يا صديقي أويأ شقيقتي . قررت « ان نعيش » أليس كذلك ؟ ... !

قالت : نعم ، من الظلم أن تموت أنت ... وسأعيش لتعيش !  
قال : حسناً . أشكرك إذ أنقذتني لوالدي ولستقبلي ولسبأبي .  
ويالك من طفلة ؟ بل يالى من طفل أنا أيضاً ؟ لا يأس مع الحياة يا مريم ستعيشين وسيمحو المستقبل الزاهر ذكريات الماضى الاسود والحاضر المعتم . ستكونين نعم الزوجة ثم تصبحين أمأ ... وأولادك سوف يطردون بوجوههم البريئة . وضحكاتهم الموسيقية . والفاظهم الاخاذة . اشباح الحوادث . وسيشغلك الزمن والواجب عن كل شىء إلا عن أمومتك ...

قالت : ليفعل القدر ما يشاء . أنا بنت القدر ! ...

قال : نحن جميعاً أبناء القدر ...

قالت : بقى شىء ؟ ... ؟

قال : ما هو ؟ ..

قالت : ما بيني وبينك ...

قال : كان ما بيني وبينك طهراً وسيظل إلى الخلود طهراً . كان ما بيني وبينك أوفى وأقدس وأعف ما بين فتاة وفتى . وسبقتي إلى الأبد محتفظاً بقدسيته ، متحلياً بكرامته ، حياً بذكرياته ، متعشاً بعذريته ؛ .. هو الحب « البلاتوني » يا مريم . حب الخيال والسماء والاحلام . حب الملائكة . حب النقاء والبقاء ! ..

« تحزرين ما سوف يحدث ؟ يستحيل هذا الهوى العذري الى صداقة بالزمن . صداقة حلوة خفاقة فأتنسم عن بعد أخبارك وتتسمنين عن بعد أخباري . أدعو لك وتدعين لى بالسعادة كلما انبثق نور الفجر ، أو ودع قرص الشمس نهار الجلبة والضوضاء والكفاح ، أو أرخي الليل سدوله على مخلوقات الله الذين يلجؤون إلى مخادعهم ومخابئهم في حراسة القضاء والقدر ! ...

« ثم لا بد أن نلتقى . وأفضل أن يكون اللقاء بعيداً . بعد إذ يخف وقع الصدمة ، وتبرد نار اللوعة ، وتحمد شعلة اللذعة ... حينذاك - ولا أدري متى وأين - نذكر معاً عهد الشباب ، وحلاوة الشباب ، وأحداث الشباب ! ..

نعم : نعيش يا مريم ونعيش . والله كفيل بأن يشفيك ويشفيني من الفاجمة !! !

ويسكت « شكري » منتظراً الرد فيجده دموعاً هادئة تهادي على الوجنتين وتلاحق بكبرياء وجلال ...

قالت : أدنت لحظة الوداع ؟ !

قال : بل أوشكت أن تنتهى ...

قالت : أعطني قلماً ...

فيخرج من جيبه قلماً « امريكانياً » وتمدهي يدها إلى الوسادة  
فتخرج من تحتها صورة لمريم الطالبة فى مدرسة الامريكان . ثم بيدها  
المرتسنة تخط على الصورة هذه الكلمات :

« الى هيبالى النييل ... »

« صريم »

ويأتى دوره فى الاهداء فلا يجد شيئاً . ثم فجأة يصطدم بزجاجة  
« الاستركنين » الفارغة فيلتقطها من الارض ويقدمها لمريم قائلاً :  
— هذه هديتى أنا . احتفظى بها فقد كان سمها هو الترياق .  
وكان موتها هو الحياة ! ..

ويتناول الفتى يد الفتاة فيقبلها بحشوع وحرارة ، وتشتبك دموعه  
المتساقطة فى الوداع فتترك أثراً على الجلد الرقيق ...  
ويأتى دور الفتاة فلا تملك إلا أن تضع قبلتها مكان قبلته على  
يدها . ولا تملك الا أن تمزج دموعها بدموعه على الجلد الرقيق  
— الوداع يا مريم ! ..  
— الوداع يا شكرى ...

. . . . .  
. . . . .

وتتبع وقع اقدمه خطوة خطوة حتى إذا ما ابتلعه المستقبل المجهون  
دخلت الى الغرفة ممرضة تحمل ورقة صغيرة فيها كلمة . . .  
أما الورقة فنه واليها . . .  
وأما الكلمة فكانت :  
« أذكر بني . . . »

# استشفاء!

لا أدري تماماً هل تنفق أمزجة المفجوعين في الحب . المقهورين في عالم العواطف . اليائسين من تحقق الآمال الغرامية . . . لا أدري هل تنفق أمزجتهم في اختيار الملجأ والمنفى والملاذ بعد النكبة أم لكل مزاج ، ولكل رأى ؟ . . .

أنا من الناس الذين يغدرون أنفسهم غمراً في بحر الواجب والعمل عند الفشل في الحب . فاذا ما حل آخر الأسبوع واستقبلت يوم الراحة وانقطعت صاتي بالعمل والواجب تحركت في نفسى الذكريات واشتعلت في قلبى النار واستولى على الألم . . .

ونقرأ في الروايات وفي الاخبار العالمية العاطفية أن كثيرات وكثيرين من فرائس القلوب الحفاقة يسافرون ويستسلمون للوحدة وللعزلة إذ يجدون في ذلك السلوان . . .

ونقرأ أن كثيرات يلجأن للدير ويقطعن صلتهن بالدنيا الخلابة وبالانوار وبمسارح الفرح والحبور . . .

ونعرف أن كثيرين من هذا الصنف المنكوب يجدون العلاج في الضجيج وفي العجيج وفي الجلبة والضوضاء وفي المجتمعات المنعشة والسهرات التي لا يديرها العقل وإنما يتولاها الهوس . . .

الواقع أن الأمزجة تختلف وان الاستعدادات تتباين . . .  
و « شكرى » بعد عودته الثانية من « اسويط » يفكر ويفكر .

وأخيراً يقع اختياره بعد طول التفكير على « الريف » . . . . . تقبل

☆☆☆

هذا « محمود » العربي ينتظر سيده « شكرى » على المحطة الريفية<sup>4</sup> الصغيرة ذات الذكريات بالعربة القروية التي أنهكها الكر والفر وأضناها الذهاب والاياب في استقبال الزائرين وتوصيل المسافرين . . . العربية التي ظلت زمناً طويلاً رمز الكرم والجود ، والتي حملت فيما مضى زرافات ووحداناً من الابداء والكبراء والوزراء والحكام أيام كانت الدنيا دنيا الكرم والجود . والوفاء والصفاء . وحسن الحائ وصفاء البال . . . . .

ولمح « شكرى » أن الخيل تتعثر وتتخبط من الهزال والضعف والجوع فقال : ما هذا يا أوسطى محمود ؟

جرت من العربي المسكين دمعة وقال في صوت مخنوق : من عهد ان سكتتم مصر يا سيدى وكل شىء هنا جائع وعطشان . . . . .

قال شكرى : حتى الزرع يا محمود ؟ . . . . .

قال : حتى الرجال والنساء والاطفال . . . . .

وانحرفت العربة تحاول أن تتخطى المزلقان المرتفع عن السكة الزراعية فتعثر الخيل وتخبط وتقهقرت العربة تكاد تهوى براكبها في الأرة فضرب « شكرى » كفاً على كف قائلاً : واحسرتاه ! . . . . .

هذه طلائع الريف المهجور . الريف الذى كان زاهياً زاهراً موسراً مملوءاً بالروح وبالحياة مفعماً بالخيرات والبركات ؟ الريف مصدر المجد ومورد الرزق ومنبع النعيم المقيم ؟ الريف دعامة الثروة ومنبت المجد العتيق ، والصديق الوفى والرفيق الذى لا يغدر ولا يخون ؟ الريف

الفاضل عدو الرذيلة وكفيل الجمال والكمال؟ هذا هو الريف قد خيم  
عليه الغيم المعتم وانتشرت فوق أرجائه الكآبة التي تسحق القلوب! ...  
ووصلت العربية الى القرية . وواحسرتاه مرة أخرى! هذه هي  
التلال قد زادت تلالا . وهذه هي البرك تضاعفت بركا . وهؤلاء هم الاطفال  
العراة كما نزلوا من بطون أمهاتهم لا يرتدون شيئاً لان «هدمتهم»  
الوحيدة... الوحيدة صيفاً وشتاء في «الغسيل!...»  
ويظل الطفل بجسمه العارى العليل طول النهار حتى تغسل «الهدمة»  
وتنشف فيرتديها على اللحم! ... يرتديها على اللحم بعد ان تكون قد  
فعلت الاهوية والرياح والغفار والميكروبات فعلها في صدره وبطنه  
وسيقانه؟! ...

ويصل «شكري» الى بيت الاسرة الحافل بالذكريات فتفد اليه  
وفود الرجال والنساء من القرية . أما الرجال فلينتظروا قليلا في  
«السلامك» وليشربوا القهوة حتى ينتهى من استقبال الزائرات...

## المتطوعون؟!!

هذه «أم رجب» التي عرفها ضحوكا ثرثارة حاضرة البديهة  
سريعة النكته زاخرة بالامثال ما بالها قد تغيرت وهرمت وتجلت  
بالسواد؟! لك العزاء يا مسكينة... ابنها الوحيد قد غيبته صحارى  
فلسطين فكان ضحية من ضحايا السلطة!!!

وهذه «أم الخير» مثلها وإنما فقدت اثنين؟!!

وهذه «أم نعمة» مثلها وإنما فقدت ثلاثة؟!!

حسناً ، حسناً : يا ولايا يا ثكالى لا تبتئسن ولا تحزن فى سيل  
الوطن ذهبت فلذات الالكباد ...!!؟

فى سيل الوطن ؟! ...

نعم ! ولم لا ؟! هكذا قال أقطابنا وزعمائنا وساستنا وإلا فكيف  
رضيت ضمائرهم المصرية . وكيف قبلت قلوبهم الوطنية . وكيف سمحت  
عقولهم الشرقية . أن تسوق ذلك الجيش العرمرم من العراة الحفاة  
كقطيع الغنم ضد الاتراك ومع الانكليز الى الحدود والى ما بعد الحدود  
حيث ضحوا المهيج فى وهج الشمس وظلام الليل وفى الاغوار والانجاد  
والهضاب والجيال ؟!

فى سيل الوطن لاشك !؟ فلما نال الوطن النصر وتقهقر العدو  
وفرضت الشروط على من خسر الحرب قاسية حامية قاصمة قاضية :  
قبض الوطن الثمن ونال الجزاء !!؟

قبض الثمن ذل على ذل . وعاراً على عار . واستعباداً على استعباد .  
وفقرأ على فقر ! ...

وبقى فى البلد الاحتلال . رمزاً خالداً للاستقلال ! ...

## الفلاح !

— وانت يا « سليمة » كيف حال ابنك « طلب » ؟ اليوم يوم  
الاربعاء . هل أحضرت له شيئاً من السوق ؟  
قالت « سليمة » وقد سرتها هذه المداعبة انها أحضرت له حلوة  
حمصية و « حنتين قنه » ...

قال : « ألم تحضري له لحمه ؟ »

قالت : « لحمه ؟ ! بنجيبها سوق وسوق لآء !... »

وأمن الفلاحات الزائرات على كلامها . يأ كل الفلاحون اللحم في الشهر مرتين . واللحم في عرفهم شيء من العظام و « الشغت » . يشترونه بأرخص الأثمان من لحم الجاموس أو البقر أو الماعز الذي تدركه وتتقذه السكين من آلام الاحتضار . . . وقد يخدمهم الجزارون الفلاظ القلوب والا كباد فيبيعونهم اللحم من « الفطيس » . اللحم الفاسد الذي يحمل الى جوفهم الامراض والأوبئة . . . أما طعامهم بقية أيام الشهر فالعيش الذرة الحاف مع قليل من الملح . وقليل من البصل . وقليل من الفجل والجرجير والمش . وقليل من الحضار المطبوخ لا بالسمن ولا بالزبد ولا بالزيت وإنما . . . بالماء !!!

وثروة الفلاح في الريف أولاد وماشية . أما الأولاد فسائل « الشمس » : هل استطاعت يوماً أن تنفذ بأشعتها الى داخل الدور المبنية من الطين والطوب « النيب » ، والتي أبي فن مهندسها ومقاولها أن يجعل في جدرانها منافذ لدخول الشعاع الرباني المطهر ؟ وسائل « الهواء » : هل كان أوسع من الشمس حيلة فاستطاع أن يتسلل ولو كاللص الى هذه القلاع الحقيمة المحصنة ؟

ثم سل سكان هذه الدور : هل يفصل بينهم وبين البهائم وروث البهائم فاصل ؟

هل تمتاز الزريبة عن الحضير والمصطبة والقاعة والدهليز أم الكل سواء في الاثاث وفي الرياش ؟ !

ثم سائل الانكلستوما والبلهارسيا وغيرها وغيرها : ماذا فعلت في  
الفلاح وابن الفلاح و بنت الفلاح ؟

سل العزب والكفور : أين ذهب الرجال والفتيان وما الذى  
حصدهم حصداً حتى أقفرت الدور إلا من الارامل والثكالى ؟ !  
أما « الماشية » فحدثني يا أم نعمة : أين ذهب جل عم « حسن  
أبو متولى » وطوره وبقره وجاموسه وحماره الحساوى وماغزه  
وخرافه ... وأين ذهب جل عم « سليمان القطاوى » وطوره وبقره  
وجاموسه وحماره الحساوى وماغزه وخرافه ... وأين ذهبت ماشية  
عم « ابراهيم أبو رمضان » وعم « حسين زقندح » وغيرهم وغيرهم من  
ايعان المزارعين خبراء الغيط وأقطاب الزرع في القرية ؟ ! ...  
— راح الخير يا سيدى ..

ذهب الخير وولى ، وأقفرت مخازن الذرة والقمح في بيوت  
الفلاحين البسطاء . فاذا ما بحثت عن السبب وجدته هو السبب دائماً .  
هاجر الاسياد الى العواصم وأجروا الضياع لفلاحهم . وهؤلاء فقراء  
لا يملكون ثمن السماد و ثمن التقاوى وأجرة الري وغيرها وغيرها من  
النفقات والتكاليف . وتأخروا بسبب العجز المالى عن السداد فتراكم  
الدين للسيد على المسود . والسيد فى القاهرة أو فى البندر يريد نقوداً  
تسد نفقات تفرنجبه وتعصره ورفاهية المدينة . فهو لا يرحم لأنه هو أيضاً  
محتاج . وانغيط المسكين يتحمل فى هذه الحالة اهمال الفلاح وجشع  
المالك . والفلاح تحت ضغط السداد يبيع ما يملك من ماشية . فاذا ما تجرد  
عنها تجرد عن سلاحه ففشل كرجل خبير فى الزراعة فنان ...

هذه هي الناحية المادية التي كانت نتيجة حتمية من نتائج التطور  
الريفى : ان ينقلب الزارع بيده من عامل الى مستأجر  
أما الناحية المادية فأدهى وأمر وأنكى . شعر الفلاح بنوع من  
الكبرياء والغرور إذ أصبح جديراً بالتعاقد مع سيده بعد ان كان رجلاً  
من رجاله يأتّم بأمره وينتهى بنهيه . وهذا النوع من التحرر والرقى  
رفع نوعاً مستوى معيشته فلم يدم الارتفاع طويلاً . فهوى ا  
هوى الاعيان وهوى الفلاحون ونضب معين الخير وضافت  
الارزاق . وجاءت الحركة السياسية فكان لها ضاع من سنة ١٩١٩ حتى  
كتابة هذه السطور . . .

شغلت السياسة ولاة الامور بالتتابع من ذلك التاريخ حتى هذا  
التاريخ . فخدم ولاة الامور « الحزبية » أكثر مما خدموا الامة من الناحية  
الزراعية والاقتصادية . فاقتل التوازن بين الايراد والمنصرف . وأصبحت  
دعوى ان « مصر غنية » الكذوبة من الاكاذيب الفاضحة ومغالطة من  
المغالطات الذائمة !

إذن صدقت « أم نعمة » إذ قالت :

« راح الخير يا سيدى . . . »

وارتفع القطن فى سنة ١٩١٩ فوصل سعر القطن الى اربعين جنيهاً  
وأكثر من اربعين . . .

ثم جاءت سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ وما بعدها وبدأ سعر القطن  
يهبط ويهبط ويهبط . ثم يهبط ويهبط الى مستوى الفقر المدقع المتجسم  
فى الاشباح التي أمامه : وجوه صفر علية ، خلق بالية ، عظام تكاد

تكسو اللحم ولا يكسوها اللحم... اذن ماذا استفاد الفلاحون البائسون  
من ارتفاع الاسعار ذلك الارتفاع الجنوني الخيالى الغريب ؟ !  
لا شىء... .

الفلاح الصغير دائماً هو الفلاح الصغير . سنة اليسر وسنة العسر  
عنده سيان . وغريبة هذه المشاهدة فى بلادنا المسكينة . والفلاح  
المصرى هو فلاح العالم الوحيد الذى لا يتأثر بالأزمة ولا يتأثر بالنعمة .  
وعندما أقول الفلاح ارجو ان يفهم قرأناً ،أتى أقصد تلك الطبقة  
الحافية العارية المريضة التى حافظت فى ماضيها وحاضرها على تقاليدھا  
القديمة وهى الجلد والصبر بهو العمل فكانت دائماً مصدر الرزق ولكن  
بلا مقابل ! ... .

☆☆☆

وخرج « شكرى » الى السلامك فقابل الرجال . وأخذ يستمع  
الى شكواهم المرة ونكباتهم الاليمه التى مرت بهم فى عهد شراء الجمال  
والحمير والبغال والذرة والشعير وفى عهد سوق الاولاد للعمل فى  
فلسطين... .

ثم أخذ يستمع الى شكواهم المره ونكباتهم الاليمه بعد « الثورة » فى  
عهد التحقيقات والاحكام وعهد التشقى والانتقام ! ... .  
ثم أخذ يستمع الى شكواهم المرة ونكباتهم الاليمه الخاصة  
بالارزاق والاقوات

ثم أخذ يستمع الى ذكريات عهد البر والوفاء بين السادة وبين  
المسودين... .

ثم خُص الى نتيجة اشتراكية بحتة ، وهى ان هذا الصنف من  
الآدميين صنف مجرود يقاسى شر أنواع نكران الجميل ! . . .

☆☆☆

وأخذ يستشفى فتانا فى الريف فلم يطق البقاء طويلا وإنما أخذ  
يعالج جروح قلبه بالحياة الهادئة . وبالوسط الجاهل الساذج . وبالخضرة  
المنبسطة . وبالنوم المبكر وبجياة الحمول والذكريات . . .

ثم عاد الى القاهرة ليحيا حياة جديدة : حياة الحمامة من جديد  
وحياة السياسة . وليته لم يحياها . . .

وبجانب هاتين الحياتين انتحر - أو قل صمم على الانتحار - فى  
حياة الحب والغرام . . .

. . . . .  
. . . . .

# اضحك يضحك لك العالم !... .

فعل الريف فعله في نفس « شكرى » وفي نفسيته ...

وفعلت المأساة الاولى والثانية فعل الريف ...

وخلع المحامي الناشئ المنظار الاسود عن عينيه . وصمم ان يمشى  
فيلسوفاً وفيلسوفاً مرحاً طروباً مستهتراً بالحياة مطبقاً المثل العالمى  
المشهور :

« اضحك يضحك لك العالم ! »

وها هو قد عاد الى القاهرة . وبرز في نواديها وأحزابها وقهواتها ،  
وسهراتها ومجتمعاتها . فكان واسطة العقد . و « سنترال » الحظ والانس  
والمجون الطيب البرى ...

ولكنه في مجونه ومبازله وهذره وهذيانه كان يبدو كالمجنون  
المتكلف المتطبع . كان يكافح في داخلية نفسه آلامه . ويعارك ذكرياته  
الحزينة ويناضل لطماته السابقة . ويحاول ان يشفى جروحه الدامية ...  
وظهر على جمهور القراء المصريين بمقال تحت هذا العنوان :  
« اضحك يضحك لك العالم » . فاوصى اهله وأصدقائه بأنه إذا مات  
فعلينهم ان يخللوا نعشه بالزهور البيضاء والحمراء - وان يلبسوا الملابس  
الزاهية الالوان - وأن يرقصوا ويمرحوا ويطربوا ويشربوا على صحته  
في ليلة المأتم الاولى ! ...

صدق الشاب وصدقت نظرته الى الحياة . انى إذ أدون وقائع حاله  
الآن - أى فى سنة ١٩٣٢ - أستعرض فى ذاكرتى عزيزاتى وأعزائى

الذين ذهبوا ... وأفذاذ العالم الذين هبوا الى الحضيض في أوج عزتهم  
وسؤددهم ومجدهم ... وكيف خلق القدر خاملين فجعل منهم نابهن وكيف  
غدر بالنابهن فجعلهم خاملين ... انى إذ أذكر ذلك وأستعرضه أجد ألا  
قاعدة في هذه الدنيا . وان من واجب المفكر الرزين ان يكون  
« قدريا » على طول الخط . عدواً للمطامع والآمال . يكافح ولكن  
بلا شجن ولا ألم . ويسعى ولكن بلا عذاب : يكذب ويقده زناد الفكر  
ولا يكلم ولا يمل ولكن تحمت شرط : ان ينام فى الليل ملء جفونه وان  
لا يقول : آه ...

تلك الفتاة التى كانت تترعب على عروش جميع القلوب . وكانت  
حديث الشبان فى السهرات . وكانت مطمع عشرات من الخطاب . فجأة  
تسعل سعالاً خفيفاً . ثم تشحب . ثم تذوب . ثم تنتهى ... ماتت بالصدر  
وبالعله الخيثة . لم اختطفها القدر ولم يرحم شبابها وجمالها وإكلاها ؟ ولم  
يرحم عواطف الذين اشتروا هناههم من الدنيا بها . ولم يرحم اجماع الناس  
على حبها ؟ لم تموت ؟ لا أدرى ... وإنما شاء القدر . فابكوا وأذرفوا  
الدمع السخين يا سخفاء ! ...

وذلك الشاب المتألق فى نوادى القاهرة الصاعد بسرعة البرق الى  
العلاء . المحمود الحاصل والخلال . المدير لادارة حكومية كانت مثالا فى  
الدقة والاحكام والنظام يفكر فى الزواج ويختار خطيبته من أكرم  
البيوت وأجمل الفتيات . ويمرح بها وبسيارته فى المساء الجميل يتبادلان  
أرق العواطف ويدبران حديقة المستقبل الغناء . هذا الشاب يمتلئ بيه  
المعد « للدخلة » بعد ثلاثة أيام باناث العروس الفاخر وقد ازدحم

باخوانه وأقاربه يتفرجون ويهتنون حتى اذا انصرفوا ذهب الى القهوة  
وطلب فنجاناً . ثم ارتفق بذراعه ووضع أنامله على جيبته يفكر في  
تميق غرفة الاستقبال واعداد اللحم وتهيئة غرفة الطعام ثم يسرح في  
خيال الاحلام . ويأتى «الجرسون» بفنجان القهوة ويداعبه فلا يرد ...  
ويحركه فلا يتحرك ... ويضع يده على قلبه فيجده قد مات !!!

وهذا الشاب الذى نشأ في وسط تجارى . فلما هيأت له كفاءته ان  
يتولى المنصب الذى يسير نبوغه ويتمشى وجدارته نثر نشاطه الحكيم  
المتنذ ذات اليمين وذات الشمال فأثمر وأنتج واكتسح وأباد وزحف الى  
المشروعات الوطنية الاقتصادية زحف الجيش الجرار الكامل العدة  
القوى السلاح . حتى اذا دوى اسمه دويه ، وطار في الوطن كل مطار .  
أهب فجأة رأسه برصاص المسدس فسقط جثة هامة بين ذراعى  
زوجته وعلى مرأى من طفليه بغير سبب معقول ؟ !

وهذا ... وهذا ... وذاك ... وذاك ... والصرعى في  
الطريق . وفي القطار . وعلى مكاتب الدواوين . وفي القهوات والنوادى  
من هؤلاء ؟

هؤلاء هم ضحايا القدر بغير سابق انذار . اذن لا تساوى الدنيا شيئاً .  
فعلام الهم والنغم والحزن والشجن . وعلام الآهات والانات والحسرات .  
وعلام الارق في الليل والكدر في النهار ؟ . اذن الى الوراى يا مشاغل الدنيا  
والى الوراى يا مطامع ويا مظاهر . ويا آمال ويا أمنيات . وأهلا بك  
يا قدر . ان « شكرى » يستقبلك مستسلماً ويؤسس فلسفته الجديدة على  
قاعدة : « اضحك يضحك لك العالم ! »

# مشاريع الزواج! ...

يلاحظ الأبوان الكريمان على ولدهما الثالث أنه يتخطب. فمن حزن قاتل . الى داء عضال . الى ضحكات جنونية . الى مرح مفاجيء . الى انغمار في السياسة على غير هدى وعلى غير أساس . . .

ثم ها هو يندفع في تيار التحرير السياسي المتطرف الملتهب المشتعل ناراً . . . وها هي رسالاته تظهر في اكبر الجرائد اليومية الصباحية بأسلوب فاز بحسن الحظ وبالخطوى ووقع من النفوس موقع الهوى والسلى . وامتزجت فيه الفكاهة بالجد . والسكر بالحنظل . ويظهر أن سر نجاح ذلك النوع من الاساليب الكتابية يرجع الى أن النفوس كانت ولا تزال مفعمة بآلام الحياة وبأكدارها ورزاياها فهي جد تواقه الى القراءة المرفهة المعززة الموسية، المرسله ارسالا لا اتقان فيه ولا صنعة ما دامت تخضع لوحى الطبيعة والسليقة لا وحى التكلف والتعمل . وداعب السكاتب فيمن داعب جنس النساء والفتيات !

ولاحظت « الام » اليقظة أن فتاها يفتح على شبابه فتحاً جديداً وأنه أوشك أن يندفع في تيار الاغراء فصاحت : الزواج ! الزواج !

☆☆☆

وقعت الصيحة من نفسه موقعاً حسناً فصاح هو أيضاً : الزواج

الزواج ! . . .

واشتغل قلم المباحث والتحريرات وكانت للام اقتراحات . وللعلمات اقتراحات . وللعائلة اقتراحات . وللاخت اقتراحات . ولم كانت

الاذواق متنافرة . والآراء متباينة حتى سئم الخلاف فقال لهن : استرحن  
واتركنى أختار ...

## الخطيبة نمرّة « ١ »

تلميذة على وشك التخرج لا تريد سنها على ستة عشر عاماً .  
عرفها في ليلة ساهرة بمنزل أسرتها . وكانت سهرة مختلطة اجتمع فيها  
رجال ونساء

ولفت نظره أنها كانت لا تلتفت الا اليه . ولا تعنى الا به . ولعله  
كان أصغر الموجودين وكأنت هي أصغر الموجودات . والسن تجذب اليها  
السن ولو مع التفاوت فيه

ولاحظ بعض المدعويين انه ، وهي ، يُختلسان النظرات فسلط  
دعاباته عليهما . وكانت الفتاة تنتعش بالدعابة . وتلذذها بالملاحظة .  
فتشجع !

وكانت فتاة جماها كله ينحصر في تعبير واحد : رقيقة |  
كانت نحيلة ، دقيقة ، سمراء ، ذات فم أنيق وأسنان صغيرة فتانة ..  
ذات عينين لا تستطيع ان تحديق فيهما طويلا . ولكن مالنا ولكل  
هذا الوصف وهو لم يستهوه منها جمال اللون ، ولا جمال القد ، ولا  
جمال الفم والعينين ، وإنما لعب بلبه أنها كانت لا تتطق حرف « الراء »  
كما ينطق الناس حرف « الراء » ؟ !

« راء » شاذة لاهي بالراء الواضحة ولا هي « بالعين » المدغومة .  
وانما نصفها من هنا ونصفها من هناك ؟ !

لا أظن مصدرها لثة الاسنان الخلفية وإنما يغلب أنها تصدر بعد طي طرف اللسان من الحلق . . .

ونُحِت الفتاة الصغيرة أنها لمست بأنامها قلبه . فزادته عناية ورعاية وأخذت - كربة منزل صغيرة - تعنى بطلباته أثناء السهرة . . .  
وفي غفلة بريئة من المدعوين احتلى بها بجوار « البيانو » فأخذت تحادثه بمحديث فيه الساذج ، والمماكر ، ولسكنه كله خلاب . . .  
وتوسل إليها أن تضرب على البيانو وان تسمعه شيئاً فتمنعت تمنع الاطفال . ثم رضخت رضوخ الاطفال ثم لعبت لعب الاطفال . . .

☆☆☆

تكررت الزيارات وزالت الكلفة وعرف سكان المنزل ، وأصدقاء المنزل ، أن علاقة « الحب » نمت بين الاثنين . وأنها تتجه بسرعة نحو الخطبة . ونحو الزواج . . .

وبدأ يدرس الفتاة دراسة الزوجة لا دراسة العاطفة فوجد أن الفارق كبير بين أسرته وتقاليدہ القديمة الرجعية . وبين أسرتها المتحررة العصرية . والفتاة كانت صغيرة في السن وكان الترق والطيش الصباني صفتين لاصقتين بأحوالها وتصرفاتها . كانت في « السينما » متلاحقة الملاحظات على الشبان وملابسهم وأحوالهم . فهذا في نظرها جميل . . .  
وهذا رشيق . . . وذلك ثقيل الدم . . . وذلك وجيه !

وكانت مشغوفة بالرقص يكاد يبكيها وينغص عيشها ان « شكري » لا يرقص . وكم توسلت اليه وألحت عليه ان يتعلم ليكون شاباً من آخر طراز . . .

وكانت من غواية قيادة السيارات . وكم وبخته توبيخاً ممزوجاً بالاثم  
وبالسكدر لأنه متأخر : فهو لا يلعب اليانو ولا برقص ، ولا يقود  
السيارات . وانها تود ان تخلق منه في أقرب فرصة شاباً من النوع  
المعروف : « سبورت » ! ...

وجد « شكري » ان الفرق عظيم بين عقليته وعقلية خطيئته . وان  
الدراسة التي تتجه يومياً نحو « الاعماق » تكشف عن خيبة الامل رويداً ؟ !  
ولاحظ في احدى السهرات ان زائراً جديداً قد طرأ على الوسط : شاب  
أنيق من سن الفتاة . وممن يرتدون « الجاكتة الكحلية » ذات الازرار  
المذهبة . والبطلون الواسع المتصل باسفل الكعب . ومن حملة « الكرافات »  
ذات اللون « القوس قرحى » . ومن ذوى الشعر المكيوى . وباختصار  
ممن يصح أن نطلق عليهم لقب « الجنس نصف – اللطيف » ...

ورقص هذا الشاب معها في احدى الليالى الساهرة فنظر اليهما  
وعيناه تقدحان بالشرر . ولكنهما والحق يقال كانا منسجمين متكافئين  
في الرشاقة والاناقة والسن والعقلية والمؤهلات ؟ ! ...

بدأنجمه يأفل ونجم هذا يرتفع . وفي ليلته من الليالى انعطف  
« شكري » في شارع الاسرة في زيارة من زياراته . فلمح سيارة  
« سبورت » من ذات المقعدين تقف بكياسة ولباقة على الباب ثم لمح  
الفتاة والفتى قد نزلا منها بكياسة ولباقة وقد تأبط ذراعها وتأبطت ذراعه  
بشغف وحنان وعاطفة . فقال في نفسه : وداعا . والى الورااء !!!  
ودق جرس التلفون في اليوم التالى في الميعاد فأخذ السماعه ودارت  
المحادثة الآتية :

هو : آلو . مين ؟

هي : أنا ...

هو : كيف حالك ؟ ..

هي : عال ...

هو : اهنتك ...

هي : بماذا ؟

هو : به ...

هي : من ؟

هو : الرشيق أُل « سبورت » ...

أُلقت السماعة بغضب . وفي الليل ذهب « شكري » الى أحد التياترات ليتناسى همه ، فوجد الاسرة في أحد بناوير . ولمح الفتاة « السبورت » ، والفتى « السبورت » متلاصقين فافتحم الباب وسلم بأدب وابتسام . ثم همس في اذنها قائلاً : « اهنتك » ...

فأطرقت وقد كسا وجهها احمرار خفيف . ولم تمض شهر حتى تزوج الفتى من الفتاة ... ..

فتنهذ قائلاً : بالرفاه والبنين ! ...

## الخطيبة نمرة « ٢ »

نحن الآن في سنة ١٩٢٣ وقد استقل « الاستاذ شكري » بمكتب في مدينة من عواصم الاقاليم . وقد اشتغل محامياً موقفاً من البارزين الذين يحق لهم الجلوس مع سعادة المدير . وسعادة الوكيل . وسعادة

الحكمدار . ويزعج نجمه في سماء الكتابة فتلهف القراء بحق أو بغير حق على رسائله في الجرائد . وبالرغم من اقامته بالمدينة التي اتخذها موطناً لحرفته فانه كان وثيق الاتصال اسبوعياً بالقاهرة

وقرأ في هذه الاثناء رسالة اجتماعية دقيقة البحث عن الزواج في مجلة اسبوعية افرنجية ، ذهب فيها الكاتب الذائع الصيت الى ان الزواج المؤسس على « الحب » زواج « الفشل » فيه غالب . وان الزوجية المبينة على تقدير الجدييات أجدى على الزوجين وأبقى من المبينة على العواطف والخيال . وهو فوق ذلك قد جرب الحب العفيف في مأساته الثانية والحب الذي يظنه الناس غير عفيف في مأساته الاولى . ثم انتعظ من فشل خطبته الاولى فصمم على ان يتزوج كما تزوج آباؤه واجداده من قبل . . .

وبعث بخطبته « أم هناوه » كالكشفافة في ميادين القتال .. ويا لها من سخافة ! لقد جاءته باخبار وأوصاف وتفاصيل وأرقام الله وحده أعلم بصحتها ودقتها . ثم فهم ضمنا من كلامها أنها انبأتهم باخبار واوصاف وتفاصيل وأرقام الله ، وهو ، العالمان بصحتها ودقتها . وأعجب ما في الموضوع انها طلبت « صورته الفوتوغرافية » ! فحمد الله ولجأ الى صديقه « هنزلان » فخلق منه - فوتوغرافيا - خلقة وسيمة خلاصة فتانه وبارك الله في فعل « الرتوش » ومهارة الفنان . . . وكان لا بد للاستاذ المثقف المتكلم على كل شيء من ان يخضع خضوع المسلمين لهذه الاجراءات وهذه التقاليد . وقيل إن سفيرة أو سفيرتين من اهل المقربين يجب أن تذهبا لزيارة اهل الفتاة . ولعاينة الفتاة . وعجيب - في نظره - ان

يستلزم الامر هذا ومستخدمو « سمان » و « شيكوريل » يعاينون بدون سفيرة أو سفيرتين . ويشاهدون وليس عندهم إلا نية البيع والشراء والمساومة و « الفصل » ...

وسأل الاستاذ : يا للخجل !؟ وكيف تتم هذه المعاينة ؟ ..

قالت خالته الفصيحة : نخطر اهل العروس بالزيارة ...

قال : ثم ماذا ؟

قالت : نحدد الميعاد فتستعد العروس وتنظّم نفسها وجمالها وقوامها وترتدى ابدع ثيابها وتعطر جسمها وشعرها بالروائح . حتى اذا وصلنا وشربنا القهوة أو الشربات استدعيت العروس فأقبلت تهادى خجولاً وجلست بأدب واحتشام ثم يأتي دور البحث والفحص ...

قال : وكيف ؟!

قالت : هنا اللباقة والمهارة . فالواحدة المحجبة تشرع في الحديث معها وتحقق أثناء الحديث في « اسنانها » لترى ان كانت فيها عيوب أو كسور من ناحية التناسق واللون . ومن الحديث نستنتج « خفة الروح » أو « ثقل الدم » . ونعرف نوع « الصوت » ان كان ناعماً أو خشناً أو غليظاً ...

قال : ثم ماذا ؟

قالت : ... وقد تخرج الواحدة منا « سيكارتها » وتطلب الى العروس برفق أن تشعل عود الكبريت فتتقدم لتلمح قوامها وقدها وتقرب . فنتساعل لتشعل عوداً آخر ولتتسع لنا الفرصة لنحديق في عينيها عن قرب ، ثم تنتهز السفيرة الاخرى هذا الوضع « فتطبب »

على صدرها لتلمس « نديها » ببراعة واحكام ...

قال : كفى !

قالت : ماذا ؟ ...

قال : يا للخجل ! وأى فرق بينكن وبين « سمسرة » الخيول .  
وغواة الخيول ؟ أنتن بهذا الشكل لا تحظبن فتاة وإنما تشترين  
حصاناً ! ...

وكان لا بد من هذه السفارة فتوسل الأستاذ الى سفيراته ان  
يترفقن بالفتاة المسكينة فوعدنه خيراً ...

ولا يعرف الأستاذ ماذا تم في هذه المعاينة وإنما تقدمت اليه تقارير  
متناقضة . فالسفيرة « نمره ١ » ترى انها « بضلة » . والسفيرة « نمره ٢ »  
ترى انها « كاملة » . والسفيرة « نمره ٣ » ترى انها لا بأس بها ...

وجاء دور « التحريات » عن الأستاذ وعن ماليته ، وعن سيره  
وسلوكة ، وعن عدد اخوته ، وعن ... وعن ... وأفك ما في  
الموضوع انهم سألوا عنه « مأمور قسم شبرا » واعلمهم استعانوا بالبوليس  
السرى عن احواله واسراره ... واستغرقت هذه التحريات أشهراً  
ثلاثة . ثم صدر القرار أخيراً بالقبول مبدئياً وجاء دور الكلام عن  
« المهر » و « النسب » وليس المجال مجال التفصيل فسخافاتة ومهازله  
معروفة . وفرضت اسرة العروس رقماً عالياً فقبله الأستاذ راضحاً . ولم  
يكن في حياته الحاضرة ولا المقبلة من الماديين . وكانت اتعاب القضايا في  
ستى ( ٢١ و ٢٢ ) تدفق على جيبه فلم يكن رقم « المهر » أو « الشبكة »  
من العقبات ! ...

وسمح للخطيب أن يتردد على منزل الاسرة الضخم في القاهرة ،  
وان يقابل رب الاسرة العظيم وزوجته العظيمة . وكانت زوجته عظيمة  
حقاً ؟ بل متأهة ! . . .

وأعزوا اليه ان يقدم « الدبلة » فقدمها باجراءات ومراسم  
ورسميات . وحين جاء دور العمل الحاسم وقد استعد له وتم الانفاق  
على كل التفاصيل من « كتب كتاب » و « ليلة دخلة » و « فرح »  
استدعته الزوجة العظيمة أو الام العظيمة لمقابلة خاصة فاسرع اليها  
فهمست في اذنه سائلة : أين تكون الدخلة ؟

قال : كما تأمرين . . .

قالت : اعني اين تكون الاقامة ؟

قال : في بلدى التى اشتغل فيها . حيث حرقى وعملاى ورزقى !

قالت : لا . لا . بنتى لا تعيش إلا فى مصر !

قال : عفوك يا سيدتى . أتعيش وحدها وأعيش وحدى ؟ !

قالت : لا . ولكن تنتقل الى مصر !

قال : سيدتى . ان هذا مستحيل !

قالت : ونحن أيضاً مستحيل . . .

ودخل رب الاسرة الفخم فى هذه اللحظة . فتضرع اليه الاستاذ  
متوسلاً و « استأنف » أمام عظمته « قرار » الزوجة العظيمة فصدر  
نطقه الكريم « بالتأييد » !!

وانسأل الستار على الخطبة الثانية . . .

## الخطبة نمرة « ٣ »

فى يوم من الايام تلقى الاستاذ « شكرى » خطابا باللغة الفرنسية من فتاة لا تتجاوز الثامنة عشرة . مثقفة متعلمة كما يبدو من روح تحريرها وكما تذكرو فى خطابها ، والخطاب يتضمن شكوى مرة من معيشتها فى منزل الاسرة . ومما تلقاه من الالم النفسانى بسبب اصطدام التربية العصرية بالتقاليد القديمة . ووقعت الفتاة بتوقيع مستعار . غير أنها ذكرت العنوان . ومن الصدفة العجيبة أنه عرف العنوان وعرف المنزل لاول وهلة وعرف الفتاة . ولكنه لم يشأ ان يتعدى حده . فرد رداً موجزاً يتفق وترتيبه ومكانة الفتاة وأسرتها ، واعدأ بكتابة بحث . طويل فى مجلة معروفة لتستفيد الفتاة من رده الذى سوف ينشر فى المجلة الشهرية . وكان الخطاب والرد - على هذا الشكل - عبارة عن مراسلة ادبية اجتماعية لا تدل على شىء ولا تنبئ عن شىء . . . .

وظهر البحث الطويل فى المجلة وقرأته الفتاة الراقية . فرأت من واجبها ان تشكره على نصائحه وارشاداته واتصلت به تليفونياً . وبالرغم من عصريتها وثقافتها وتمدينها كلته بصوت مضطرب ، ولكنها فهمت من حديثه أنه عرفها وانه يعرف أسرتها وانه يحمل لها كل احترام واجلال وانتهت المحادثة التليفونية !

وعن للفتاة فى ظرف آخر ان تكلفه يبحث آخر فكلته بالتليفون مرة أخرى وأجابها الى رغبتها ونشر البحث الآخر ، فرأت أن تشكره فكلته مرة ثالثة ورابعة وخامسة . . . .

كانت الفتاة كما ترى مثقفة تثقيفاً عالياً . ثم هي فوق ذلك كانت  
موسرة ومن بيت كبير . وقد تحرى الأستاذ - من باب الفضول - فعلم  
انها جميلة . ومن محادثاته معها تحقق لديه أنها ثابتة في خلقها . فلم يبدر  
منها لفظ ، ولم تخرج كلمة ، ولم تفلت جملة ، يمكن ان يستنتج منها أنها  
من ذوات النزق أو الطيش أو التسامح في القواعد الاخلاقية التي تزين  
الفتاة . . . .

أحب فيها هذا المتحفظ وهذا الاتزان على صغر السن وصغر  
التجربة . واغراه انها تعرفت اليه من طريق الادب البريء والبحث  
البريء . ثم رأى في شكواها المنزلية ما يستحق العطف ويستحق  
التقدير ففكر في أن يتشجع ، ومر على ذهنه خاطر الزواج . . . .

وشأت الظروف الطيبة ان تنتقل الفتاة وأمرتها الى الاسكندرية  
في الصيف . وأن تقطن بجوار منزل من منازل افراد امرته المقربين  
اليه . واختلطت الاسرتان وامتزجتا ، وحاء ذكر الأستاذ على لسان  
الفتاة . . . .

ثم تقدم الحديث وتوغل فجرى البحث من ناحيتها عن اخلاقه .  
وعوائده وروحه . واستعداده للزواج . ففهمت القرية ما شاء لها  
ذكاؤها وقرطت قريبا أحسن التقريظ . . . .  
وكانت المباحث وفق مرامها فطربت ولم تستطع أن تخفى سرورها  
وانكشفت الموقع فانتقلت المتحدثتان مباشرة إلى « مشروع الزواج » . . . .



وبلغت التفاصيل الى الأستاذ فابرق بالموافقة من غير تحفظ ومن غير

قيود . واستمر تزاور الاسرتين والموضوع هو حديث الايام والليل الى على  
أن تتم الاجراءات فى القاهرة ! . . .

☆☆☆

وكنا قد وصلنا الى أواخر سنة ١٩٢٣ وقد خلق الانكليز للبلد  
« برلماناً » و « انتخابات » وشرع الاستاذ يعد نفسه لحوض غمارها .  
فاظهرت الفتاة من المشاعر ما رسخ فى ذهنه أنها سوف تكون حقا  
الزوجة المسعدة ، والشريكة التى يضمن بمعاونتها صفاء الحياة . . .

ولأمر ما انقطعت المحادثات التليفونية وانقطع الاتصال فظن انها  
لا بد وأن تكون بارحت القاهرة الى مزارع الاسرة فى اقليم ناه بعيد . . .  
وكان قد نصح لها ان لا تكتبه . وذلك كان مبدؤ الذى اذاعه .  
فان امقت ما كان يمقت ان تسرف الفتاة فى الخطابات التى قد تكون  
يوماً ما سبباً فى اشكالات وأحزان . . .

ولسكن الزمن طال وأصبح من غير الطبيعى أن يكون الانقطاع ،  
طبيعياً . . .

ومن السهولة أن يتحرى عما اذا كانت بالقاهرة أو لا . . .

وقد تحرى فعلم انها لم تغادر القاهرة !

ماذا ؟!

لا بد من ان ينكشف السر !

☆☆☆

وجاءته بوسته الصباح بعد اسبوع فميز من بين الخطابات خطاباً  
غماً مزخرفاً تبدو عليه الوجهة ففضه بشغف على اعتقاد انه منها . . .

كان منها حقيقة ولم يكن منها . كان من ناحيتها . كان من حولها .  
لانه كان عنها وعن مصيرها ...

كان بطاقة دعوة لحضور حفلة زفافها من فلان ابن فلان !!!  
وسقطت دمعة هي دمعة « الكبرياء » ولكن سرعان ما مسحها  
بأنامله الفيلسوفة . ولكنه لم يستطع ان يطارد الالم النفسانى الذى انتابه  
فهو قد جرح فى عزته بغير مبرر وبغير سبب ... وتساءل : هل من  
الانصاف - على كل حاك - ان يفاجأ هذه المفاجأة القاسية ؟ !

وهل كان من الضرورى أن يدعى لحفلة الزفاف ؟ !

إذن لا بأس !

بالرفاء والبنين انت ايضا ...

## الخطيبات نمرة « ٤ ، ٥ ، ٦ »

لقد عتب عليه اقاربه انه لم يوجه رغبته الى أسرته . فوقع من نفسه  
الاحتجاج موقع القبول . ولكن الاسرة القديمة لها تقاليد امنع من ان  
تتال . ولها اسوار من فولاذ لا تقوى على مهاجمتها الافكار العصرية :  
السفور فى هذه الاسرة جريمة . والحب كفر ، والاختلاط بين الفتى  
والفتاة عار ! ...

وبالرغم من ذلك اختار الخطيبة الرابعة . وجرت محادثات هامسة  
مكتومة قدسية لاهوتية جديدة باهيا كل والاديرة . لم ؟ ! لان الفتاة  
يوم ان ولدت كان قد تكلم عنها اهل الفتى القلائى يوم ان ولد ، وصدر

العرض من هناك والقبول من هنا . وكلام الاشراف شرف ولو كان عن  
طفل وطفلة في سنى الرضاع . إذن ليظل كل شيء في « السر » خافئاً ،  
ميتاً ، طويل الامد ، خوفاً على عواطف الاسرة الموعودة ، وحرصاً  
على كرامة الاسرة الواعدة ؟ ! ...  
وأين الفتى ! ؟

هو لا يزال يتعلم . فيجب الانتظار حتى يتم دراسته . ثم يجب الانتظار  
حتى يكون مستقبه . ثم يجب الانتظار حتى يتكرم فيقول : لا ! ...  
وحينئذ تتحلل الاسرة الواعدة من وعدها . وتسون كلمتها .  
فتصح اذاعة الخطبة ويجوز للاعلان ؟ ! ! !  
ورفض صاحبنا كل الرفض هذه « الرهنية » ويبحث عن الخطية  
الخامسة ...

وهي فتاة استأثرت بالجمال والكمال دفعة واحدة . وكانت غير  
مرتبطة بوعود أو بعهود . وقطعت الاجراءات شوطاً بعيداً وسريعاً .  
وأوشك كل شيء أن ينتهى وان يتحدد . ولكن ! ...  
لكن في آخر لحظة اصطدم حظ استاذنا العاثر بمشكلة « الرضاع » ...  
وجاء دور الخطية الاخيرة ولها حكاية طويلة تلخص في جملتين :  
« ان الزواج قسمة . وربنا ما قسمش » ؟ !



رسخ في ذهن « الضاحك الباكي » بعد هذا التاريخ الزواجي  
الطويل ان الحكاية « مقصودة » من القدر ، وان القضاء والقدر لا يريدان  
أن يتزوج . واحترام القضاء والقدر فرض وأمر واجب الطاعة ! ...

# دستور و برلمان!؟

إن صيف سنة ١٩٢٣ كان شيئاً جديداً في حياة مصر... تمخض  
تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ عن شيء ظريف اسمه «دستور  
وبرلمان»...

رقصت بعض الاحزاب وطربت واطلقت الزغاريد وأقامت  
الزيينات ورقمت الاعياد في رسمياتها . وكشرت بعض الاحزاب عن  
انيابها ولبست السواد ونادت بالويل والثبور وعظائم الامور واعتبرت  
تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ نكبة!؟

ونشبت المعارك ودار الطعن والطحن والضرب والنزال والنضال  
حتى نادى المنادى في البوق ان هناك «انتخابات» فاذا بالاحزاب  
الضاحكة والاحزاب الباكية تقبل على الانتخابات؟

والنيابة عن الامة شرف أى شرف . ثم فيها ايضاً «مرتب»...  
وفيها ايضاً «ابونيه»...  
وفيها ايضاً «حصانة»...  
وفيها ايضاً نفوذ وجاه...  
وفيها مطامع وآمال...



كانت «النيابة» المودة الجديدة للفخفة والنفخة وحب الظهور .  
كانت رتب الباشوية واليكوية هي مطمح الانظار فيما مضى . أما في

تلك السنة فقد بطلت المودة القديمة وحلت محلها المودة الجديدة : النيابة عن الامة ! ...

وانكش الانكليز « الغلابة » في معسكراتهم ومنازلهم و « قصر نيلهم » و « قلعتههم » و « عباسيتهم » و « ابو صويرهم » خائفين يرتعدون ويرتعشون خوفاً من الوحش الفاجر فاه والقادم عليهم بعد حين : البرلمان !!!

ذلك ما تراهى لكل مصرى فى اليقظة لا فى المنام . فى العلم لا فى الحلم . فى الحقيقة لا فى الخيال ...

وكانت المناصب الوزارية محتكرة فى وسط معين . وفى شخصيات معينة . أما اليوم فالمودة جديدة أيضاً . والنيابة عن الامة ستكون مزلقا أو مرقى الى العلا والى السماء ...

اذن هيا يا جيوش المؤمنين الطامعين الطامحين فازحني ... ازحني واستميتى وابذلى وحرابى وكأخى وضحى وابذلى المستحيل وغير المستحيل حتى تفوزى بالسكنز الثمين . والمجد المتين . والنصر المبين ... وافتتح ابليس اللعين معركة الانتخابات فضاعت اسر . وضاعت روابط . وضاعت تقاليد . وضاعت ثروات ! ...



اقتحم الاستاذ دائرة من الدوائر الانتخابية له فيها عصبية وقرابة وجوار . ولكنها لم تسكن من دوائر اسرته المضمونة . تلك احتلها اقرباؤه المقربون . وكانت سنة دون السن القانونية بسنتين . غير انه كان من ساقطى القيد فى اقليمه فانهز الفرصة وجال جولته الاولى وحيداً

ليجس النبض فاستقبل بالترحاب في كل دار وفي كل مكان . الوجوه كلها باسمه . والعواطف كلها فياضة بالاعجاب والتقدير . ولكنه لم يكن من حزب « سعد زغلول » العظيم . وكان الرجل الفذ قد غمر القطر كله بسحره وسلطانه . وكان مرشحاً في الدائرة رجلاً معروفاً . له ثروة طائلة وضياع كثيرة . وله مقر وله روابط . ولكن الشاب لا يجفل ولا يتردد ، ولم يكن هناك متسع للاختيار فأقدم ! ...

وكان المحامي الناشئ قد جمع ثروة صغيرة من ربحه الخاص . لا تزيد على خمسمائة من الجنيهات . ودخل المعركة متساعفاً بعلمه - وشهادته - وحظه الصحفي السعيد - والحميمية من الجنيهات ! .. أما « منافسه » فلم يكن إلا من أرباب الضياع ...

☆☆☆

كانت وسائله الخطب والبيانات ... وكانت وسائل خصمه الخراف . والعجول والديكة والفراخ والحمام والطعام والشراب ...

وكان اعتماده على كرامة العلم وحرمة المبدأ ... وكان اعتماده على « سعد زغلول » ... وزحف موكبه الصغير الى القرى والكفور والعزب فكان يشرب في اليوم أكثر من سبعين فنجاناً من القهوة . وكان يأكل أكثر من عشرة أرطال من العجوة . وكان لا يملك أن يرفض هذا الضرب من ضروب الاكرام وإلا عدوه متعجرفاً عديم الاصل جاهلاً بالاصول ؟ !

وهزم المحامي الناشئ هزيمة « مبلوعة » بعد أن جيش عليه منافسه  
جيشاً عمر مراً من اقطاب الوفد وخطبائه ، فاضاع وقته واضاع الجسمانة  
من الجنيات ؟! . . .

☆☆☆

وعاد الاستاذ الى مكتبه الريفي يحاول اصلاح ما افسده الدهر  
وافسده الانتخاب . وراجع حسابه في البنك فوجد الرصيد صفراً !!!  
وفي ليلة من الليالى السوداء الممطرة اتناهت السويداء . وهو قد  
اعتاد في الليل ان يعاشر جدران الغرف والكتب وملفات القضايا . . .  
ولكنه في تلك الليلة شعر بألم الوحدة وشعر بأنه نائر على كل  
شئ : على نفسه - وعلى واجبه - وعلى مهمته - وعلى حاضره  
ومستقبله . . .

وكان عائداً من القاهرة . وتذكر وقد انتصف الليل انه لم يقرأ  
بوسته الايام الماضية . فلجأ اليها عله يجد بينها ما يخفف من لوعته  
واشجانه . . .

وفض الخطاب الاول فاذا به من متعهد حفلاته الانتخابية في  
الدائرة يطالبه ببقية حساب قدره عثمرون جنيهاً ؟! . . .

وفض الخطاب الثانى فاذا به من شاب سعدى هينته فيه بالسقوط ؟!  
وفض الخطاب الثالث فاذا به من مخلص آسف يكشف له عن  
عيوب قانونية في اجراءات الانتخاب ؟! . . .

وفض الخطاب الرابع فاذا به من موكل يخطر به بأنه تصالح مع  
خصمه ويطلب اليه رد ثلاثين جنيهاً قيمة مقدم الاتعاب ! . . .

أما الخطاب الخامس فكان من عائلة منحوسة تدعوله بطول العمر  
وتطلب إليه أن يمدّها بالاحسان ! ..

ورفع الخطاب السادس فاصطدم بخط دقيق انيق اضطربت له  
حواسه وتفتحت له عيناه ...

إن الخط يعرفه .. ولكن لمن ؟

إنه خط .. ولكن ليس من خطوط الرجال ..

إنه من سيدة ! فمن تكون ؟ ؟

☆☆☆

والله إنها الحكمة !

كان من الضروري جداً أن يخلق الله صنف النساء ..

لهن في الازمات دور لا يلعبه غيرهن ولا يجيده غيرهن ..

إنه لم يعرف بعد ممن الخطاب ولا ما هو مضمونه إن كان خيراً  
أو شراً ..

ولكنه حن للخط وحن للنساء ..

وفي الشدة التي هو فيها . وفي الوجعة التي يقاسيها . شعر كأن

عاملاً من عوامل الانسراح قد طرأ والسلام ..

وأخذ يفض الخطاب برفق ولين ووداعة ثم قرأ ما يأتي :

« صديقي شكري :

« ان كنت لم تعرف الخط بعد فلا تتعجل ولا تسرع الى

الامضاء ...

« أنا صديقة قديمة . بل كنت أكثر من صديقة . وقد سمعت بنياً سقوطك في الانتخابات . وفهمت بالبداهة أنك ستكون معتم الخاطر مظلم النفس . فرأيت من واجبي ان افعل شيئاً رغم ظروفى ورغم بعدى عنك وبعدهك عنى . وماذا املك ان افعل ؟ لا شيء إلا أن أكتب اليك هذه الكلمات ... »

« ولست ادرى ما الذى حملنى على الاعتقاد بأن كلاتى هذه ستكون لها مكانتها فى نفسك كما كانت منذ سنين ! .. »

« ألا يدهشك انى اخاطبك كأنى - لا ازال - من ذوات الحقوق عليك ؟ اغتفر لى جرأتى فمن يدرى ؟ لعلك نسيتهى ولعلنى أكون مبالغه فى اعتدادى بدالتى عليك . سواء أكان قدرى عندك غالباً أم رخيصاً فانظنك لا ترفض كلمة مواساة وتشجيع من صديقة لا تزال تشعر بأن عليها واجبا نحوك فى اويقات وجيعتك وألمك . وكم كنت احب ان اعلم مبلغ وقع هذا الخطاب فى نفسك . ولكننى اعلم أنك لا تملك ان ترد . . . »

« انى اتبع اخبارك بقدر ما تسمح به الاخبار العامة . وثق - يا شكرى - واسمح لى ان اخاطبك بغير رسميات . . اتى لن انسى وفاءك ولا عفتك ما حييت . بل لقد بلغ من جرأتى انى رويت لزوجى كل حكايتى معك . وبهذه المناسبة اخبرك انى سعيدة وانك كنت نبياً صغيراً حين تنبأت لى بأنتى سأنسى فبيعتى . . ولنا ابنة صغيرة جميلة تحدق فى بعينها الجميلتين وأنا أكتب لك هذا الخطاب . وهى هادئة هدوءاً ملائكياً على خلاف العادة . كأنها تعلم من طريق الالهام انى أودى واجباً مقدساً نحو عزيز على لا أنساء ولا انسى ذكرياته ونبهه . . »

« اذا كانت مكاتبي لا تزال كما اعهد في نفسك فاني واثقة انك ستنسى  
مرارة التجربة الانتخابية الاولى . . .

« عدني إذا طافت بك ذكرى هذا الفشل ان تذكرني . وان  
تنسى . وان تمش . وان تبتمس . . .

« ثم عدني ان تذكرني دائماً الى ان نلتقي على وفاء كما افترقنا عن  
وفاء . . . ولك تحياتي م

من المخلصة

« صريم »

٣٠ يناير سنة ١٩٢٤

## (١) برلمان سنته ١٩٢٤ - ١٩٢٥

في يناير سنة ١٩٢٤ - أو حوالي هذا الشهر إن لم تخنى الذاكرة -  
شكل زعيم الامة وقائد جيش الكفاح ضد الانكليز الوزارة . . .  
وكانت وزارة أثار العجب وأحدثت في تقاليد البلد الوزارية  
حدثاً جديداً . انبثت منها رائحة الديمقراطية واحتوت بعض  
« الافندية » . . .

محاولة جريئة تعمد فيها « سعد زغلول » ان يهشم التقاليد القديمة  
فنجح !! . . . وان يذيق « الشعب » طعم الحكم فنجح ! . . . وان  
يبرهن على ان الامة « مصدر السلطات » فنجح ! . . .

وتوارى « الانكليز » فهلل الشعب وكبر . وطار الناس في جو  
الاماني والخيال فصعدوا للسماء ، وطاولوا الجوزاء . . .  
لم لا؟! . . .

بلد مستقل !  
وزارة شعبية !  
دستور وبرلمان !  
سفارات وقنصليات ! ...

وفي منتصف مارس وقف « شكري » الراسب في الانتخابات في  
ميدان قصر النيل يتفرج على موكب النواب والشيوخ ورجال الدولة  
الذاهبين لافتتاح « البرلمان » فصفق مع المصفيين ، وهتف مع الهانفين .  
وتشجع حماسة مع المتشجنين ، ولكن قلبه رغم كل هذه المراسم والمظاهر  
كان يقول له : لا ! ...  
« انها نفخة كذابة ... »  
« انه طبل اجوف ... »  
« ان البرلمان خدعة انكليزية ... »  
« ان النظام البرلماني ، والحكم الشعبي ، مع الاحتلال ، حقنة من  
حقن « المورفين » ... »



وكان من الطبيعي ان تقصى الوزارة الشعبية الموظفين في العاصمة  
وفي الارياف ممن لم يكونوا من لونها ... والا فكيف تطمئن لهم وكيف  
تعمل؟؟ وهكذا عزل البعض ، وحوكم البعض ، واحيل البعض على  
المعاش ... فتولدت حزازات وضغائن وثرارات ...  
وكان من الطبيعي أن يندفع النواب في سبيل التظاهر بالسلطة . وهم  
معدورون فالتجربة جديدة وهم لا يزالون « تحت التمرين » ... وهكذا

طعت السلطة التشريعية على السلطة الادارية فكان النواب مديري  
أقاليم ، ورؤساء مصالح ، ومديري ادارات . فارتفعوا بانصارهم وعيلاتهم  
وكنمو أنفاس منافسيهم وخصومهم ...

وتولدت حزازات وضغائن وثارات ...

وتواری « الانكليز » وراه كل هذه المظاهر يشربون « الويسكي »  
على صحة نجاح التجربة !!!

وانشغل البلد الثائر لقضيته ضد الانكليز ، « بالبرلمان » ، عن القضية  
وعن الانكليز ! ...

فكانت اللعبة الجديدة ابداع ابتكار جادت به قرائح دهاة بريطانيا  
في القرن العشرين ! ...

☆☆☆

أما « اللعبة » الاخرى فكانت هي ايضاً ظريفة : المفاوضة !

جربها « سعد » مرة فانتهد بالفشل !

وجربها « عدلي » مرة فانتهد بالفشل !

وها هو « سعد » في سنة ١٩٢٤ يجربها مرة اخرى ...

وسافر الزعيم يحمل آمال أمة : فيه وفي « مكدونالد » العادل

المنصف ! ...

كانت مفاوضة ما اقصرها وما اوجعها ...

جرحت فيها كبرياء الزعيم . وكبرياء الامة . وانتهت في ملح البصر

بالفشل !!!

وبدأ رد الفعل القاسى يحدث أثره فى نفوس الجماهير الساذجة :  
ماذا فعل البرلمان ؟ ولم لم ينسحب الاحتلال ؟ وأين أين السودان ؟  
وأخذت الاحلام تتلاشى وتبددها اليقظة ويطردها نور الصباح !..

## (٢) برلمان سنة ١٩٢٥

حدثت حادثة السردار المشثومة فقامت القيامة واقتحم اللورد اللبى  
بجنوده دار الحكومة « المصرية » وقرأ الانذار التاريخى الرهيب على  
رأس « سعد زغلول » ثم توالت الحوادث بسرعة البرق . فهوت وزارة  
الشعب وهوى برلمانها ودستورها . وتألفت وزارة مختلطة من حزب  
الاحرار بناء الدستور وحزب الاتحاد الذى ترعرع فى هذا العام واشتد  
وصال وجال . ثم جرت الانتخابات على يد « صدقى » فحاصر الزعيم  
وحبسه فى داره وخفت صوت الشعب . وحدث ائتلاف بين الاحزاب  
الساكراة لسعد زغلول ، ووفد سعد زغلول

وجرت الانتخابات على هوى الوزارة القائمة وتكون « برلمان  
سنة ١٩٢٥ » ولكن !...

ولكن كانت أيضاً الاغلبية للوفد ؟ :...

واكتسحت الامواج موظفى الوزارة الشعبية وأنصار الوزارة  
الشعبية فاصبح كل مدير بلونين ، وكل عمدة بثلاثة الوان ، وكل وحيه  
باربعة او خمسة الوان ...

وانعقد مجلس النواب ومجلس الشيوخ ثم جرت انتخابات الرياسة

فكان « سعد » رغم كل ذلك الاعداد هو المتغلب . . . . .  
وفي ساعتين اثنتين حل مجلس نواب سنة ١٩٢٥ فكانت مهزلة  
تاريخية وسخرية دستورية عديمة المثل ؟!!!

وتجأت اللعبة الانجليزية الدستورية البرلمانية مرة اخرى بشكلها  
المضحك المحجل الطريف والناس - بعد - لا يفهمون ولا يعقلون . . . . .

☆☆☆

وجاء دور « الاحرار الدستوريين » . . ولم يدم ائتلافهم مع حزب  
الاتحاد طويلا فقد حدثت حادثة كتاب « الشيخ على عبد الرازق » فقذفت  
بهم وبجزبهم من حلق « واخلى طرفهم » في الحال واسدل الستار على  
برلمان سنة ١٩٢٥ بعد ان ابتلع اموال المترشحين . وبعد ان نكبت الامة  
نكبة جديدة في اخلاقها وروابطها وهنائها . . . . .

☆☆☆

ونسى الناس الانجليز ، والاحتلال ، والحرية ، والاستقلال ، وتضاربوا  
حول كراسى الحكم وحول مقاعد البرلمان ؟ . . . . .  
وتمخضت مصر عن ائتلاف عظيم خطير بين الوفد - والاحرار -  
والحزب الوطني

. . . . . وتجلت اللعبة الانجليزية مرة اخرى فارخت الحبل « للائتلاف  
العقيد » فدحر خصومه وقسمت الدوائر الانتخابية على احزابه الثلاثة  
وجرت الانتخابات في سنة ١٩٢٦ ففاز « الاستاذ شكرى » بالتركية  
وأصبح عضواً في مجلس النواب . . . . .

### (٣) برلمان سنة ١٩٢٦ - ١٩٢٨ ؟ !

برلمان حافل بالشخصيات الضخمة من جميع الاحزاب . أما « سعد » فقد تجهم له الانكليز واشتروطوا أن لا يكون رئيسا للحكومة ! . . . وأقام له النواب المنتخبون حفلة شاي في تزل الكنتنتال لتكريمه . ولكن ظهر انه كان هناك غرض خفي ، فقد قام بعض انصاره ينصح له بعدم قبول رياسة الوزراء ، فهض الاستاذ « شكري » يعارض الفكرة ويقول انها تقهقر ورضوخ من زعيم الاغلبية لارادة الانكليز ، وقام طبيبه الخاص فأيد النصح بالتخلي عن الحكم ، ثم قام « سعد العظيم » وقال ان صحته لا تساعده على العمل في رياسة الحكومة ؟ !

وانكشف الستار وضرب الانكليز الائتلاف أول ضربة ففرضوا ارادتهم واقصوا زعيم الاغلبية عن الوزارة فتولاها « عدلى يكن » . . وكان برلماناً حافلاً بالعظماء ، غنياً بخطبائه وحملاته وزحفه . ولكن لا على الانكليز . . وإنما على الحكم السابق ، وعلى الاحزاب السابقة . . أما قانون العمد - وقانون السلاح - وغيرها وغيرها فقد لعبت بشأنها السياسة الخفية ونفذت مشيئة الانكليز . . .

ومات سعد وبدأ عقد الائتلاف في الانفراط وانسحب عدلى وثروت وجاء « مصطفى النحاس » فضربه الانكليز الضربة القاضية بحكايه « قانون المظاهرات » فاشتد البرلمان واحتد وتجهم وكشر عن انيابه . . ثم ؟ ثم ؟ ثم تقهقر بغير انتظام وانكمش أمام البوارج والمدمرات والطرادات . . .

ولعبت الدسائس وانسحب محمد محمود وأقيمت الوزارة الشعبية وحل مجلس النواب وأوقف الدستور . .

ولعبت اليد الحديدية المحمدية المحمودية دورها فبطشت واقتصت وقربت . وفاوضت المفاوضة الخامسة بعد مفاوضة ثروت الرابعة ثم فشلت وانهارت وتوارت عن الانظار . .

## (٤) برلمان سنة ١٩٣٠

وانتصر الشعب مرة اخرى وتولت الوزارة النحاسية الحكم وفاوضت وفشلت للمرة السادسة . ثم ارتطمت بقانون محاكمة الوزراء . واستقال النحاس استقالة لا تحلوا من المؤاخذه السياسية . وتجلى « صدقي » في الميدان

## (٥) برلمان سنة ١٩٣٠

وعدل الدستور وقانون الانتخابات وكون مجلس النواب الخامس والقراء يعلمون جميع التفاصيل فلا داعي للإشارة إليها . ولا يعلم إلا الله مصيره .



هذا هو المرور السريع على نظامنا النيابي ، والدستوري ، والحكومي رأيت من واجبي ان ادونه في هذه الصفحات ليكون القراء على ثقة من ان « الدستور والبرلمان » لعبة انكليزية مكشوفة شغلت زعماءنا عن

القضية العامة ، إلى قضيتهم الخاصة .. وحولت جهودهم من ان تتجه ضد الانكليز الى ان تتجه ضد بعضهم بعضاً

وكانت هذه اللعبة نعمة وبركة على انكلترا ووبالا على مصر وعلى مرافقها الحيوية ، ومصالحها الاقتصادية واحوالها الاجتماعية ، فندهورت جميعاً وهبطت للحضيض ! ..

ولا تزال الاحزاب تتناحر حول الحكم ولمن يكون ؟ وحول الكراسى النيابية ولمن تكون ؟ ولا يزال المصري هو عون الانكليزي ضد المصري ، ولا تزال الفوضى ضاربة الاطناب

اما الاستقلال ..

واما الاحتلال ..

واما القضية المصرية ..

فسلوا عنها ضحايا سنة ١٩١٩ ، وسلوا عنها الخيال !!

. . . . .  
. . . . .

# حياة «الجارسونيرة» !

إن النائب المحترم قد ارتدى في صباح يوم من أيام سنة ١٩٢٦ بذلته الرسمية الأنيقة هو وأحد زملائه النواب ليحضروا جلسة افتتاح البرلمان العظيم . .

وأقلتهما سيارة فخمة سارت تتهادى بين الجماهير الحاشدة ، وبين رجال البوليس والمدافع الداوية وبين الهتاف الحماسي المرتفع للسماء . فكانت الساعة ساعة من ساعات العمر النادرة فيها كل عناصر الزهو والغرور ، والاعتداد بالنفس ، والطموح الى العلى . .

وفي دار البرلمان وجد النائب المحترم نفسه بين عظماء البلد وكبرائها واقطابها والقابضين على زمام الحكم . ثم شعر لأول مرة ان هؤلاء جميعاً سيكونون تحت رقابته وتحت هيمنته وسيطرته . ثم رفع بصره فوجد شرفات البرلمان حاشدة بسفراء الدول والصحفيين الاجانب وعقيلاتهم ثم بالامراء والعظماء وكبار ذوى الحثية من النساء والرجال

وزاده غروراً وسعادة انه كان اصغراعضاء البرلمان سنأ فجلس بجوار سعد زغلول واستقبل في السراى الملكية عملاً بالدستور وضخم امره وكبر . وكانت له في البرلمان - بعد ذلك - جولات وصولات ليس هذا مكانها وإنما نحن نسرّد قصة اجتماعية اكثر منها سياسية . فلنهمل السياسة من الآن فقد اضحكت وأبكت « الضاحك الباكي » وهو إذ يذكر اليوم تاريخه السياسى يخلص الى نتيجة محققة ادركها قبله شاعر مصر القومى رحمه الله إذ قال :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هي أمة تلهو وشعب يلعب ! ...

☆☆☆

كان لابد للنائب المحترم من ان يسكن في القاهرة حيث مجلس النواب. ولما كانت عائلته مكونة منه ، ومنه ، ومنه ، فقط . . . فقد اتفق مع أحد أقاربه الاعزاء الذين مزجوا بين عاطفتي القرابة والصدقة فاشتركا في استئجار « شقة » في مركز يقولون عنه انه « ستراى » وعاشا معاً من سنة ١٩٢٦ حتى السنة التى تنتهى - أو التى شئت ان تنتهى فيها - هذه القصة ! . . .

وكانت « الشقة » مكونة من صالة رحبة ، وغرفة استقبال ، وغرفة نوم ، وغرفة للمائدة ، الى غيرها من الملحقات التى توجد فى مثيلاتها من المساكن العادية . . .

وزين الشريكان « الشقة » بالورق الجميل ، ووضعوا فيها تليفوناً ، وأثاثها « بمبيلية » لا بأس بها . حتى اذا فتحت ابوابها وافتتحت رسمياً أطلق عليها الاخوان والحلان اسم « الجارسونيرة » . . .

لا أدرى لم يصدم هذا اللفظ النفوس وهو تعبير صحيح بلفظه ومعناه ينطبق تمام الانطباق على مساكن الاعزاب !؟

ولا أدرى لم كانت تكال التهم جزافاً الى هذه « الجارسونيرة » ويعلم الله انها مظلومة !؟ يعلم الله انها كانت جامعة اخلاقية سالت فيها دموع . وتهذبت فيها اخلاق . وصلحت نفوس . واستقامت شخصيات . وتطهرت سير . وتجلت علوم وفنون . وفاضت عظمات وعبر . . . ثم يعلم الله انها كانت دار مواساة وسلوى وانصاف للمظلومين والمظلومات من

الظالمين . . . ثم يعلم الله ان هذه « الجارسونيرة » كاذبة في سبيل الحق حكومات وسلطات وحيثيات حتى انتصرت اخيراً بفلسفتها ونبها وحماسها للحق على المال والجاه والسؤدد والنفوذ . . . . . بغير مقابل !! بل يعلم الله ان « المقابل » كان ججوداً كافراً . وانكاراً فذاً للجميل! . . . . .

نعم . . . . .

كان يستقبل الصديقان القريبان الشريكان في هذه « الجارسونيرة » طوائف من أجمل وأزهى وأزهر زهرات الجنس اللطيف من كل لون ومن كل جنس ، ومن كل بيئة ، ويعلم الله ما كان تاريخ هذه « المؤسسة » تاريخ مجون أو لذة ، أو سكرة أو هوى فاسد ، وانما كان تاريخ آلام . وفواجع . وأوجاع . ودموع . وشجون ! . . . . .

كشفت حياة « الجارسونيرة » للصديقين القريبين الشريكين سر الحياة الاجتماعية في هذا القطر البائس ، وبالاخص في عاصمته الخلابة الساحرة الفاجرة ، كشفت لهما القناع عن اسرار السيوت . واسرار السياسة . فهالما ان بناء الاخلاق في هذا البلد قائم على أساس متداع ضعيف وأن النكبة أقسى وأمر مما يخال الخيال . وآلم وأوجع مما تصور المبالغة ومما يصور الابتكار ! . . . . .

وها هي « الجارسونيرة » ساعة كتابة هذه السطور . قد هجرها الصديق القريب الشريك بعد أن أتم الله عليه نعمته بالزواج ، فعدت وأمست مسجداً صغيراً قام فيه منبر الاخلاق ، واحتشدت فيه « الذكريات » النقية ، وشملت الوحدة الاستاذ « شكرى » فاخذ

يدون مذكراته ثم دفعها لصديقه مدون هذه القصة ليصوغها للقراء في قالب العظة والدرس لعل فيها بعض العلاج ! . . .

## ١ - ريتا . . .

„ RITA „

في « برمنجهام » بانجلترا هبط الطالب المصري « سعيد » ليلتحق بجامعة من جامعاتها ، لا يعينكم ولا يعينى أن تعلموا ان « سعيداً » هذا ولد في قرية صغيرة ، وفي دار صغيرة من قرى ودور اقليم القليوبية . أما ابوه « الشيخ مصيلحي » فكان رجلاً لا من الوجهاء . ولا من انصاف الوجهاء وإنما من « ارباع » الوجهاء . من الذين يملكون عشرين فداناً لا أكثر ولا أقل . . . ووالدة « سعيد » كانت - وأظنها لا تزال - من الطراز القديم . الذي لم ير العاصمة في حياته الا مرتين اثنتين ، لزيارة « السيدة زينب » ليس إلا . . . وفاه « لنذر » . وانجازاً لوعده وعهد ! . . .

نزل الفتى « سعيد » في « بنسيون » لعائلة انجليزية مكونة من أب « حداد » وأم عجوز . وفتاة تسمى « ريتا . . . » . . .

وكان الشاب في أيامه الاولى وديعاً ، مؤدباً ، خجولاً ، مرتبكا ، ولكن بارك الله في اخوانه ومواطنيه هناك : علموه ولقنوه الدروس ولمح ان كلا منهم يصطحب فتاة في محال الشاي ، ودر السينما ، ورحلات آخر الاسبوع . . شاغل الفتاة « ريتا » بظرف المصري الجذاب فانقادت

الى ظرفه ودعته . وأبت كبرياؤه القومية في مهجر العلم إلا ان يتظاهر .  
وداء المصرى - كبر أو صغر - هو التظاهر . والتظاهر ارفع مرتبة من  
المورد فاندفع وتلقى « الشيخ مصيلحى » الطلاب بالبريد وبالتلغراف  
مصحوبة بمعاذير المصروفات المدرسية ورحلات الاجازة . والمرض  
القاسى ، والكتب ، وأيدت دموع الام طلبات الابن الوحيد فرصد الاب  
المسكين ايراده كله ، ورجحه كله ، على فلذة الكبد فى « بلاد الغربية » ١٩٠١ .  
ثم استدان ...

ثم باع ...

والابن فى فترات الاستدانة ، وفترات البيع الودى والجبرى ،  
يتهادى فى عواطفه وفى طلباته والشهور تمر والاعوام تمر والابن لا يرحم  
والاب يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله ...

عرقم « سعيداً » فى مصر وفى مسقط رأسه . وعرقم فى مصر من  
هو ابوه ومن هي أمه ، وما هي داره ، وما هي ثروته المنتظرة . فهل  
عرقم فى « برمنجهام » من هو ١٩٠١ ...

تقول « ريتا » لامها المعجوز : إن أباه من كبار « الباشوات » حكام  
المقاطعات . وملاك المزارع ... ان عندهم ثلاثة اسطبلات لخيول السباق .  
ان الجواد « سرحان » ، و« تت بت » و« سلطان » ترج آلاف الجنيهات  
فى كل موسم ... ان عندهم غابة عظيمة للصيد والقنص ... ان فى قصرهم  
الريفى تكعيبة عنب تمتد الى مسافة كيلو مترين داخل الاسوار ...  
آه يا أمى : إننى لسعيدة ، وقد أحبيت مصر الغنية بلد المدهشات  
والثروات ! ...

وتقول العجوز باسمه : صدقت يا « ريتا » . أبناء الارستقراطية هم  
الذين يحضرون لانكثرا للعلم . حظ سعيد يا ولدى !  
ويحضر الاب « الحداد » في المساء « فتدردش » له العجوز وتروى  
الاعاجيب . فيبتسم الاب الطيب ويقبل امرأته في سكون الليل فرحاً  
بسعادة الابنة المحبوبة ...

\*\*\*

وتمر أعوام الدراسة العادية و « سعيد » لا يزال يدرس ...  
والاب لا يزال يرهن ويبيع ...  
والام لا تزال تبكي ...  
وفي ليلة سوداء يرد خطاب من انكثرا . فيفضه الاب بلهفة فيجد  
فيه الصاعقة : صورة فوتوغرافية لسعيد ، ولزوجته ، « ريتا » ولابنهما  
الصغير « كمال » !!!

\*\*\*

ويمر عام . ثم عام ...  
ويحصل « سعيد » على شهادته العليا من جامعه الانكليزية ...  
ويعود مع زوجته وابنه ...  
ها هي الباخرة تصل الى بورسعيد ...  
الى الوطن المصرى ...  
وترك « ريتا » القطار في يونيه ...  
والخيال لا يزال يرتفع بها الى السماء ...  
ولكن القطار قذر . والحر شديد . والغبار يكتم الانفاس ...

أين الجبال ، والهضاب ، والحضرة الفرعونية ، والمناظر الطبيعية ؟؟  
لا شيء . . .

وهذه الجلابيب . وهذه الزعايط . وهذه الازياء المتنافرة . انها  
أشياء تتنافر والذوق السليم . . .

ويصل القطار الى القاهرة حوالى الرابعة والنصف مساء . . .  
وتذهب الاسرة « المختلطة » الى فندق . . .  
وتمضى فيه أياماً . . .

ان حر القاهرة لا يطاق . وقد بدأت الانكليزية الصغيرة  
تتضابق . . .

أين الباشا الوالد . وأين « اللىدى » الوالدة . انهما لم يحضرا ولم  
يذهب اليهما الابن العزيز . إنها جد تواقه الى « الريف » البديع  
الخلاب ؟!

وأنبأها « سعيد » فى صباح أحد الايام بالسفر لزيارة الوالد .  
وركبا القطار ومعهما الطفل العزيز . ووقف القطار على محطة صغيرة .  
ان « الرولر رويس » لم يكن فى الانتظار ؟! وكذلك الخدم والحشم  
بالملايس القصية ؟! كان فى الانتظار « حماران » عاديان . ركب  
« سعيد » أحدهما وأمامه ابنه . وركبت « ريتا » الثانى بصعوبة وخوف .  
أما الوالد فقيل إنه مريض فى الفراش . وبجوار الحمارين وقف بعض  
اقارب « سعيد » بملايسهم القروية المزهرة . كانوا بعض « نبلاء » الاسرة  
الكريمة ؟! وسار الحماران الهزيلان بالاسرة المصرية - البرمنجهامية  
سيراً بطيئاً متعراً حتى وصلا بالركب الميمون الى القرية . فاستقبلتهم

التلال ، والمستنقعات ، وطائفة من الديكة والفراخ ، والاوز والجديان  
والكلاب . . .

وأمام دار أكل عليها الدهر وشرب . ولعب بها البلى والزمن .  
وقف الركب ! . . .

هذا هو القصر المنيف ! . . .

أين تكعية العنب التي طولها كيلومتران ؟ !

أين اسطبلات الخيول ؟ . . . !

أين أين غابة الصيد والقنص ؟ !

أين يا « سعيد » ما انبأت به « ريتا » وما انبأت به أمها العجوز

وأباها « الحداد » ؟ . . . !

فبال . . .

وأأزيب . . .

☆☆☆

وحاول الوالد المريض ان يرحب بقلبه ولسانه . ألم يكن بطبعه  
مصرياً وديعاً مضيافاً ؟ ألم يكن بطبعه أباً خوناً رغم كل الظروف ؟ !  
والام : وارحمته لها . . .

وانتهت الزيارة و « ريتا » ببرودها الانكازي . وجودها البريطاني ،  
تحاول ان تخفي وجيعتها

ولكن هيهات . . .

وعادت الاسرة الى مصر . فسكنت شقة متواضعة . ومد الوالد

ابنه بكل ما استطاع . فكانت المعيشة اضيق واحقر من معيشة « الحداد »  
الانكليزى وزوجه العجوز ، ومضت أيام بؤس وشقاء . وعاودت « ريتا »  
كبرياؤها الانكليزية فلم تطق الصبر . فلجأت الى الوكالة البريطانية  
وأنت واشتكت . وتحت عوامل التأثر والتوسل ألحق « سعيد » بوظيفة  
فى « بنى سويف » فانتقل مع زوجته وابنه . ومرت شهور فولدت زوجته  
بنتا اسمها « فردوس » ...

☆☆☆

من « برمنجهام » الى « بنى سويف » ...  
ان « ريتا » حانقة . ولكنها أم ! ...  
وماذا يتلقى الطفلان المصريان من الام الانكليزية ومن خنق  
الام الانكليزية ؟ !  
كره مصر ! وكره الاب المصرى ! وكره كل ما هو مصرى ...  
وبدأ « الزواج المختلط » يثمر ثمرة المر . وينتج محصولا من الصبر  
والخنظل ...

☆☆☆

وفى « بنى سويف » فتاة مصرية ناظرة لاحدى مدارس  
البنات ...  
أخذت تشاغل سعيداً . ويشاغلها سعيد !  
والدم المصرى يحن للدم المصرى ...  
واستفحلت العلاقة فاصبحت غراماً ...  
ثم تمخضت فولدت « زواجاً » ...

وكشفت الزوجة الانكليزية « الجريمة » في نظرها فسافرت الى  
القاهرة وسعت سعيها الخطير . . .  
واتهى الامر بالطلاق ! . . .

وحيل بين الام وولديها فهددت بالمقاضاة . وهددت بالنفوذ المقيم  
في قصر الدوبارة . وهددت بالمسدس ! . . .

☆☆☆

ووظفت « ريتا » سكرتيرة في مكتب أحمد المحامين الانكليز .  
وتزلت في « كنوت هاوس » فتعرف اليها الاستاذ « شكرى » وتعرفت  
اليه . . .

غير أنها لم تطق البقاء في مصر وحنّت الى وطنها العزيز . ووسطت  
« الاستاذ شكرى » في نهو المشكلة القائمة بينها وبين زوجها بشأن ولديها .  
فماله الامر وأفهمها بروح المصرى ان الولدين مصريان مسلمان . فمن  
المستحيل ان تمكن منهما في غير جو مصر . وغير الاسلام ! . . .

وفي « الجارسونيرة » عقدت جلسات آثار الزواج المختلط .  
ونكبات الزواج المختلط . فلم تسفر عن نجاح !

ولكن « ريتا » انكليزية . ووراءها قشلاق قصر النيل ، والقلعة .  
وفي بحارها طرادات وبوارج ومدمرات . وجن جنونها إذ بلغها ان  
الطفلين يعانيان من غنت الست الناظرة . ومن الاهمال في التربية .  
فخسمت الامر . واستأجرت سيارة من القاهرة واسرعت بها الى  
« بنى سويف » واحتفظت الطفلين من على باب المدرسة !

وعلم الوالد بالاختطاف فطاردها في الاياب بسيارة حتى التقو  
الخصمان في غرفة مأمور قسم عابدين !  
☆☆☆

ودق جرس التليفون في الجارسونيرة واستدعى « الاستاذ شكرى  
فبادر الى غرفة المأمور . . .  
وسمع الحكاية . . .

وطلب اليه « سعيد » ان يكتب بالطريقة القانونية تنازلا عن حضائ  
الطفلين المصريين المسلمين للام الانكليزية . مقابل عدم مطالبتها له بأجر  
الحضانة ولا بأية مصاريف أو تكاليف ؟ !

فأسر اليه على انفراد أن الام مزمنة السفر الى انكلترا ؟ !

قال الاب العظيم : ليكن !

قال الاستاذ : والولدان . . .

قال : ليذهبا حيث يشاء القدر !

قذفه الاستاذ بنظرة ازدراء رهيبية . ثم قبض على يديه بيدي

مرتعتين وصاح في وجهه : انك لنذل !!!

« انتى كمحام من واجبى أن أحرر ما تريد . ولكنى كمصري

وكموطن ، ألعنك واحتقرك . . .

قال سعيد : إنها امرأة شريرة . وهي تهددنى بالقتل . ولا يبعد أ

تفعل . بل انى لمأكد . فاكتب لقد صممت ! . . .

وقالت « ريتا » هيا . هيا . إتتى سأسافر الى انكلترا بعد با

واريد أن أعد حوائجى وليس عندى وقت . . .

قال الاستاذ: لن افعل ... إنتى بذلك أفضى على قومية الطفلين .  
وعلى دين الطفلين . وأرتكب جرماً قومياً خطيراً . احذر يا سعيد  
وفكر وراجع نفسك ! . . .

يجرى كل هذا فى غرفة المأمور . والطفلان يحدقان بعيونهما  
المصرية الحلوة وبسذاجة الابرياء ولا يفهمان شيئاً ...

وتخرج الموقف وتعتقد . ولكن « سعيد » لم يجد فى الامر حاجة  
لمحام . فكتب ورقة واشترط فيها شروطه الخاصة بالمصاريف . ووقعت  
« ريتا » فى الحال . . .

ثم نادى : كمال ! فردوسى ! . . .

فرد الطفلان : ماما ! . . .

قالت : قبلا « بابا » . . .

فقبلاه . ودموع « الاستاذ شكرى » تسيل أسى وغيظاً . . .

واحتضنت « ريتا » الطفلين وحيث الموجودين واقتادتهما الى  
السيارة التى انطلقت بسرعة البرق الى المستقبل المجهول فى انكسرتا . . .  
وانسحب « سعيد » و « المحامى » المفجوع بذل العار والشار بعد  
أن خسرا المعركة . وخسرا المصريين المسلمين الصغيرين : الى ما شاء  
الله ! . . .

. . . . .  
. . . . .

## ٢ - سعاد . . .

كانت في السابعة عشرة من عمرها لما زوجها لرجل كبير من رجال البوليس . يبلغ من العمر الخامسة والاربعين . . .

وكانت تحب ابن عمها . وابن عمها يحبها . ولكن اسرة الفتاة واسرة الفتى كانتا متحدتين في الحيلولة ضد الزواج . . .

وعاشت الصغيرة مع رجل البوليس الكبير عيشة تيسة . وعجيب هذا النوع من الزواج . وعجيب هذا الاتحاد الا كراهي بين السن الصغيرة والسن الكبيرة . وأعجب منه عندما تصل الزوجة لسن السابعة والعشرين وعندما يصل الزوج لسن اليأس أسوة بالنساء . . .

كانت الزوجة الصغيرة لا تزال تحن حنين القلب وحنين الدم لابن العم حبيب القلب وحبيب الدم . وكان فتى وسما جميلا يناسبها في السن وفي الجمال . . .

ومرت سنة ثم سنة . والفتاة لا تنسى عهدها والفتى لا ينسى عهده . وأخيراً لم تطلق هي ولم يطلق هو ، فدبرا معاً . وتآمرا معاً . وانتهى الامر بطلاق الزوجة الصغيرة من الزوج غير الصغير . . .

❖ ❖ ❖

وتزوج الفتى من الفتاة . . .

واستقر الزوجان الصغيران المجهان الجميلان في مدينة هي عاصمة اقليم من أقاليم الدرجة الاولى . . .

وكان بيت الزوجة الصغيرة أرشق بيت في المدينة . وانظف بيت

في المدينة . فان الفتاة نسلت من أصل تركى . وكانت ربة منزل تملأه  
بهجة ، ونوراً وهاجاً . . .

☆☆☆

ولغطت سيدات المدينة بجمال الفتاة . فكانت ربحانة المجالس . ووردة  
ايام الاستقبال . . .

ومدير الاقليم كان رجلاً كبيراً . ولكن قلبه كان لا يزال كقلوب  
الصغار . . .

وترددت الفتاة على والدته المعجوز بأمر زوجها الضابط المرهوس  
قياماً بواجب المجاملة . وقياماً بواجب الملق والدهان . . .

والتقى المدير بالفتاة . فراعه أنها جميلة جمالا يلفت النظر ويستحق  
الانتباه . . .

ولاحظت الفتاة في يوم من الايام عطفاً خاصاً من سعادة المدير  
فأجفلت وجزعت . . .

وبادرت الطيبة الساذجة الى زوجها الشاب تفضى اليه بالملاحظة  
الخطيرة فابتسم وقال : العبي دورك ؟؟

قالت بهلع : ماذا !؟

قال : سايريه وجامليه ولكن حذار . . .

قالت : يا رجل !

قال : ألا تتقين من نفسك ؟

قالت : كل الثقة . . .

قال : علام الخوف إذن ؟ . . . نستطيع أن نستفيد . . .

## « نستفيد »

لفظ ومعنى عثرت بهما كثيراً في قواميس الزواج ! . .  
لا أريد ان احمل الطبيعة البشرية حملاً ثقيلاً ينفر منه الاحساس .  
وتمجسه الاخلاق . وبأباه الدم . فأتهم بعض الأزواج الرجال بأنهم  
يستغلون الزوجات لأقصى حدود الاستغلال . ولكنى اقرر معتدلاً أنهم  
يلعبون بالنار عن جهل ، وعن فرط ثقة ، وعن طيبة ، وعن قلة اختبار ،  
وعن ضعف مادي ، فيتساحون . ويتفاضون . ويمهدون . ويفتحون  
الطريق . ويطلقون أول خرطوشة . ولا يقدررون النتائج بعد ذلك  
لأنها كانت في نظرهم بعيدة عن الحاطر البليد العجى غير اللهاج



اتاب الفتاة الدهول من هذا التصريح الخطير . ومن هذا « الاذن »  
المنحى فرشقت الزوج بنظرة ازدراء ولأول مرة تهتت ذاكرة الزوج  
العجوز الرجل ! . .

ومهما قيل عن غريزة المرأة . ومهما قيل عن عناصر إغرائها  
واستمالها فاني أظن أنه لا المال ، ولا الجمال ، ولا خفة الظل ، بمرتفعة  
من ناحية التقدير الى درجة « الرجولة » . . !

الرجولة هي ميزة الرجل . وهي المشتقة منه لفظاً ، ولغة ، ومعنى .  
ولئن خدشت هذه « الرجولة » في الزوج مرة فقل على الهناء العائلي  
السلام ! . .



إن الضابط الصغير كان طموحاً تواقاً الى الرقى . وكم دفعت شهوة الرقى الى أعماق اخلاقية سحيقة . دع هذه الوسيلة الوضيعة من وسائل تحقيق المآرب والمطامع . وانظر في الازمات السياسية المصرية كم لعبت « شهوة الترقى » دورها اللعين العفن القذر فكانت الاخلاق هي المنكوبة . وكانت الاخلاق هي المدحورة المقهورة . وكانت الاخلاق هي الضحية وهي الفريسة . . .

وسرت العدوى سريان النار في الهشيم . فانتقلت الى العمدة وشيوخ البلد ووجهاء القرى والى العمال وغير العمال فأصطبغوا بكل لون . وقبلوا كل يد . وآزرُوا كل حكم . وناقفوا لكل ذى سلطان . . .  
وشهوة الترقى ، وخشية الضرر ، ورغبة الانتقام ، كلها تزوات تستوى وتتسابق وهي وثيقة الاتصال بعضها ببعض الآخر ، وهي اليوم المظهر النشط العامل فى حياتنا السياسية والاجتماعية . . .



الفتاة لم تجرب الزلة بعد . . .  
هي الثائرة على الزوج وعلى سعادة المدير . . .  
ولكن المرأة الضعيفة فى كفاحها القوى تحتاج سندا يسندها ،  
وعضداً يعضدها ، وعاملاً يقويها ويشد أزرها . . .  
أين هو ؟ ؟  
أهو الزوج الذى يريد ان « يستفيد » . . . ؟  
أم سعادة المدير المحب الوهّان ؟ . . .  
وتشجع سعادته فعطف على المرأة وعلى الرجل :

أما تلك فقد أغرقها بالهدايا الذهبية ، والماسية ، والحريرية . . .  
وبالحلوى !

وأما هذا فقد أضاف الى نجمته ، نجمة . . .

وتوثقت العلاقة . وتعددت الزيارات . والفتاة تتدرج من العبوس  
الى الابتسام . ومن النفور الى الاستسلام . ومن القلق الى التسليم بارادة  
الزوج وارادة القدر . . .

ولكنها لم تسقط بعد في عرف الحقيقة وفي عرف الحق وفي عرف  
علام الغيوب . . .

هي لا تزال عفة الثوب ، نقية الازار . .

ولكنها سقطت وانتهت في عرف الناس !

والناس في عواصم الاقاليم لماحون ، فضوليون ، يدركون بسرعة  
البرق حتى لا كاد أتخيل أنهم يدركون بطريق الالهام . . .

وانطلقت إشاعة في البلد بأن سعادة المدير و « سعاد » قد أصبحا  
عشيقين جسماً وروحاً ، ودماً . . .

والفتاة مظلومة . . .

وعواصم الاقاليم بلاد محدودة الدائرة ، ضيقة المساحة ، محصورة  
الوسط . والاشاعة قد دوت دويها ، وأنذر بها الطبل والمزمار . . .

وحمل البريد الى الضابط ذى النجمتين خطابات بدون توقيع فهم  
منها انه أصبح محط الانظار المزدرية ، وهدف اللسنة الشريرة فجن  
جنونه ، وتحركت - بعد طول الرقاد - رجولته !؟ . . .



وفي يوم من الايام دعا سعادة الحكمدار سعادة المدر الى الغداء . .  
ومثل هذه الولايم تجمعم على موائها كبار الموظفين وكبار الاعيان .  
وكان الحكمدار يسكن شقة فى الدور الثانى من عمارة . والضابط يسكن  
الشقة التى فوقها . وتناول المدير الغداء وشرب القهوة . ثم نهض  
للانصراف . . .

وبشاء سوء الحظ أنه فى لحظة نزوله على السلم هو والحيش الجرار  
الذى يتبعه . . . ووراءهم الضابط . كانت « سعاد » تلتقى بعض الزهور  
الذابلة المختلفة الانواع والالوان على السلم . فسقطت على رأس المدير .  
وتطلع الجميع الى فوق فوجدوا الفاتنة تلتقى الزهور وتثرها على سعادة  
المدير ؟ . . !

أليس كذلك ؟

هو كذلك واحسرتاه . وتنتشر الحكاية بسرعة البرق فى البلدة  
فكانت هى تسلية المجالس وحديث السهرات . وانتقلت الى النساء  
فطرزتها بالمبالغات والمضاعفات والفتاة البريئة مظلومة ! . . .  
وكاد الفتى يصعق من هول الموقف . حتى إذا ودع سعادة المدير  
إلى المكان المناسب عاد ادراجه وقد ثارت « رجولته » فصنع الزوجة  
البريئة صفة قاسية ثم أردفها بيمين « الطلاق » !

☆☆☆

وجعت البريئة المظلومة العفيفة حاجاتها مطرودة شر طردة من  
عاصمة الاقليم . مثلومة الشرف ، ساقطة فى نظر الناس جميعاً لا فى  
نظر الله . . .

عادت إلى القاهرة فارتمت في أحضان أمها العجوز الفانية تبكى  
وتلطم وليس لها في دنياها إلا الام وإلا إيراد ثلاثة جنيهات في الشهر  
الواحد استحقاقها في وقف يصرف شهراً ويتأخر شهوراً . . .



قاومت الفتاة أمواج الحُضم الدنيوى المتلاطم الامواج وكادت تظفر  
بخطيب . غير أنه مالبث أن اتصل بتاريخها الكاذب مع سعادة المديرحتى  
أفلت وفر هارباً . . . وظفرت بثان وثالث فكانت العاقبة واحدة  
وامتعت صرف الاستحقاق اليها بسبب تراع جد في الوقف فاغلقت  
ابواب الحياة في وجهها ثم جرفها التيار زهرة ندية يانعة إلى حيث  
غيب مثيلاتها في قاعه حتى أصبحت في سنة ١٩٢٦ من زائرات  
الجارسونيرات !

## ٣ - لولو

« لولو » في سن الخامسة عشرة . جمالها جمال صحى منتعش . هل  
تفهمون ماذا أعنى بالجمال الصحى المنتعش ؟  
هو الجمال المدملج الرياضى المتناسب الأجزاء والتقاطيع . الجمال  
الذى يثور على حياة المخادع والبيوت والذى يقفز إلى شاطئ النهر ،  
وأشجار الحدائق . والهواء الطلق ، والحلاء ، والذى يمشى على القدم  
كيلومترات والذى يجرى . وينط . ويحرك العضلات . ويملاً الصدر  
هواء . ويتمتع بنعمة « الشمس » عدوة الامراض والميكروبات . . .

كانت تسكن مع أسرتها في « النيل » بجوار الجزيرة . والجزيرة  
 فيها ارستقراطية . وجمال . وسيارات . وأمانى وأحلام . . .  
 وهي قد اعتادت أن تترىض في عصر كل يوم . إما على القدم أو  
 فوق « البسكليت » . . . وشاءت الصدف أن تلتقي كل يوم بسيارة  
 فخمة فاخرة يقودها شاب فخم فاخر . . .  
 وأدت هذه الزمالة في اللقاء وفي التزهة إلى النظر . فالى الابتسام .  
 فالى الكلام . . .  
 ولكنه كان نظراً عادياً . وابتساماً بريئاً . وكلاماً تابعاً - فقط -  
 للسان . . .



في الجزيرة أو فيما يلي الجزيرة سيدة كان يجب أن يجلبها جلال  
 السن ووقار الارستوقراطية وقناعة الحياة المسلحة باليسر وبالعمار .  
 ولكنها نشأت - أصلاً - في بيت من البيوت الخاملة ثم شاء لها الحظ  
 الطيب أن تصبح زوجة لأحد السراة الوجهاء . وأن تترىض على عرش  
 قصر عظيم وعلى قلب زوج مستسلم . السلطة في يمينها والمال في يسارها  
 والاهواء تسمم دمها وميوها . . .  
 إذن ليصبح القصر ندوة لا للعلماء والاقطاب والساسة والادباء .  
 وإنما للمتعة والهوى واللذة والتسلية . وداء السيدة العضال لا يشفيه إلا  
 أن تجمع الدار الفاخرة من حين لحين بين العشاق وجنود العواطف في  
 سهرات . . . وحذار حذار أن تسيء الظن بوسط الآكلين والشاربين  
 والراقصين والضاحكين والمتهامسين من رجال ونساء ! فكلهم من طبقات

المتحررين من الدرجة الاولى والثانية . . . فهناك الوزراء والكبراء  
وكبار الموظفين والشبان الوارثون . . . وهناك « المقابل » من السيدات  
الكريمات الموسرات . . . ثم هناك « كإالة الطقم » من مطربين ومطربات  
وموسيقين وموسيقيات . . .

☆☆☆

الشاب الفخم الفاخر ذو السيارة الفخمة الفاخرة وزميل الصغيرة  
ذات الجمال الصحي المتعش في اللقاء وفي التزهة من رواد هذا المعهد  
الجليل . . .

همس في اذن السيدة الوقورة الغاوية الهاوية أن تدعو الفتاة وأهل  
الفتاة إلى سهرة . وأن تدعوه وأسرته إلى نفس السهرة . ليم التعارف  
وليبدأ العمل ! . . .

وكانت السيدة الوقورة عند ظن صديقها الشاب بمهارتها وبراعتها  
وكفاءتها فكانت السهرة . وكان التعارف ! . . .

☆☆☆

وبدأت الصغيرة تميل . وبدأت تحن إلى حياة الارستوقراطية .  
وحياة البذخ . وحياة اللهو الرفيع الشأن . . .

ولكن يا حبيبة الامل ! إن الفتاة قد جاءها خطيب . ولكن ليس  
من ذلك النوع الراقي . ولا تلك « الماركة » الـ « Luxe » . . .

واسرة الفتاة متوسطة الحال . والفتى كذلك متوسط الحال . الفتى  
الخطيب لا الفتى الخلاب . وتقبل الاسرة الخطبة وتسير اجراءاتها  
بسرعة البرق . وتحاول الفتاة أن تمنع وأن تشور على الزواج ولكن

ماذا تستطيع أن تفعل . وكيف تملك أن تقاوم والشاب الفخم الفاخر  
متزوج ! ولم يعرض عليها الزواج !؟  
إذن لتخضع لحكم الواقع وحكم العقل . ولتتمرن على ان لا تفكر  
إلا في خطيها وإلا في سعادتها الزوجية المقبلة . ويساعد الفتاة على  
النسيان أن الشاب الفخم الفاخر قد احتفى من الميدان وسافر الى  
« أوروبا » مع زوجته لتمضية فصل الصيف . وهكذا تتوارى الآمال  
والاحلام ...

☆☆☆

وتم الزواج وتمر على عهده اربعة شهور سعيدة . هادئة . فيها  
حب وافر من الزوج المتواضع . وحب « ميولوجى » من الزوجة  
الطماحة ...  
ثم يعود الشاب ذو السيارة الفخمة الفاخرة من رحلته ، ويعود  
وسم العمل فى قصر السيدة الوقورة ...

☆☆☆

ويستدرج الزوج المتواضع وزوجته الصغيرة الى القصر العظيم .  
والى السهرات المتلائة . والى الوسط الحلاب . فينتهز الشاب الثرى  
الفرصة . ويحتلس الاحظات وينازل الفتاة فى غفلة من زوجها ... وفى  
غفلة من زوجته !؟  
وتمتزج الاسرتان وتتصادقان ...

وتتكرر دعوة الشاب الثرى « للولو » فى السينما . والمسارح مع  
أسرته فتذهب وحدها . حتى اذا ما انتهت الرواية وصلت السيارة الى

منزله لتوصيل عائلته . وعادت تحمل الشاب الثرى والزوجة الصغيرة الى منزلها ...

! وفي الطريق تتجلى عواطف . وتصدر زفرات وتأوهات . وتسيل دموع . والفتاة مبهورة بمظاهر اليسر . مأخوذة بسيطرتها على قلب الشاب الارستقراطي النبيل الجميل الموسر . فتندفع !  
ويمكن الحب من قلبها . ومعذورة هي ! ...



أيها الأزواج المتواضعون :

أخطر عنصر على سعادتك الزوجية المتواضعة أن توجدوا زوجاتكم في جو الامانى والآلام والاحلام . وفي الوسط الراقى الباهر الساحر الخاطف للابصار . حتى إذا عدتم إلى بيوتكم الرقيقة الحال . وإلى « شققكم » الضيقة المجال . أخذت الزوجات المحرومات المتطلعات المتمنيات تتحسر وتتمنى وتريد ؟ ... !

مظاهر العز فتنة . وأجواء اليسر مزلقة . فاحصروا زوجاتكم في جوكم . واحبسوهن في وسطكم . وحذار حذار أن ترقوا بهن للسماء لحظات . ثم تهبطوا بهن للارض سنوات ؟ ... ! ! !



وهكذا لعبت الفتنة بلب الفتاة . فتعيرت على زوجها وتسكرت لجوها ووسطها . وأوعز اليها الشيطان الارستقراطي أن تبذل كل وسائلها للطلاق من زوجها . واعدأ إياها وعد النبيل الحر ، والكريم الأصيل ، أن يتزوج منها في الحال ...

لم تكن العصمة فى يدها . ولم يكن حق الطلاق حقها . لئن كان هذا صحيحا فى عرف الشرع وفى عرف العرف فانه لم يكن كذلك فى عرف « العمل » . . . .

المرأة التى تريد الطلاق . ولا تملك الطلاق . تستطيع الطلاق ! .  
« لولو » الصغيرة الساذجة خلق منها الحب شخصية أخرى . فهى قد أصبحت فى البيت الشر ، والثورة ، والكدر ، والتعاسة . . . .  
ولمح الزوج المتواضع المسكين هذا التطور فعالجه بالرفقة ترة ، وبالتصح تارة أخرى . . . . وبالتهديد حيناً وبالوعيد أحيانا . . . حتى اذا ما كشف السر وكانت لديه مقدماته يتأس من الاصلاح ففوض أمره للقدر . . . .

وكان المسكين يحبها حب العباداة . ولكن كانت له بقية من كرامة وعزة نفس . وصارحته وصارحها بالطلاق فأصبح أمره محتوما . . . .



وفى يوم من الايام حضر المأذون الذى حرر عقد الزواج ليحرر صيغة الطلاق . فى جمع من أهل الزوج وأهل الزوجة . بذلت النصائح والفتى يتوجع . والفتاة تصمم . . . .

ولم يملك الفتى المسكين الا أن يبكى . والمأذون يدون ويسطر . حتى إذا تمت الاجراءات سلمها ورقة الطلاق وهمس بهذه الكلمات :  
« عندما تحتاجين إلى . وأعتقد أنك ستحتاجين . تجدينى فى خدمتك »



في الزيتون « فيلا » صغيرة جميلة مضت فيها « لولو » شهور العسل  
في الحرام لا في الحلال ...

باعت جسمها وروحها لعشيقها ... وخطيبها ... بيع السماح ...  
أما المقابل فكان مجرد الوعد ...

وبعض المصروف الضروري للحياة ...  
وكانت له مخلصه الاخلاص كله . وكيف لا ! ألم تكن تمهد

للزواج ؟ ...

أما مظاهر الاخلاص العجيب فأهمها وأخطرها أنها قطعت صلتها  
بالعالم : لا بالصدقات فقط . بل بأمتها واخواتها وأفراد أسرتها .  
وكانت الكبرياء تحول بين هؤلاء وبين الاتصال بها في بداية الامر ولكن  
يا للقلوب الرحيمة الحنونة ! ...

مهما سقطت الفتاة فان سقوطها لا يحول بينها وبين قلوب الأم  
والشقيقات ...

وبذلت الشقيقات محاولات جريئة للاتصال بها فرفضت رفضاً باتاً :  
ان خطيبها أراد !!!

وسمعت الأم الرؤوم ان ابنتها مريضة فزحفت وزحفت حتى  
وقفت أمام الباب وطرقت ...

فتح الباب وعرفت الفاتح بشخصيتها فعاد يعتذر اليها : اليك  
لا يريد !!!

وعادت الأم مدحورة مهزومة تبكي جحود البنات ...



وطال الامر على الزواج ومشروع الزواج . وفي اثناء المثل  
والتسوية سقطت الفتاة مريضة بسبب اعف عن ذكره . أما المجرم  
المتسبب فكان الشاب الارستقراطي . ونقلت الفتاة للمستشفى فمضت فيه  
شهوراً . . . وولدت فتاة !!!

في الشهر الثاني من شهور المرض زارها المعزم الوهان ، والخطيب  
النبيل . وقد ارتسمت على وجهه علامات الالم والكدر :  
قالت له : ما بك يا « حسين » ؟ . . .

قال : مصيبة . . .

قالت جزعة : ماذا ؟ !

قال : زوجتي مريضة بالكلى . وقد نصح لها الاطباء بالسفر في  
الحال الى فرنسا للاستشفاء تمهيداً لاجراء عملية عند الدكتور « ماريون »  
الطبيب العالمي الشهير . . .

قالت النبيلة الفقيرة : من واجبك اذن ان تسافر ؟

قال : نعم . . .

قالت : الامر هين . سأصبر على فراقك . وصحتي تتحسن . فان  
كنت تحسب حسابي فاني أقدر حرج مركزك . فلا تتردد ! . . .

قال : شكراً . . .

وتنهت الفتاة

قال : لم تنهدين . انى لا أزال على وعدى . وبمجرد عودتى سنعقد  
العقد !

قالت : انى لا أسمى الظن بشرفك . متى تسافر ؟

قال : فى أقرب فرصة . لقد اعددنا كل شىء وربما رحلنا باكرآ  
فاذا حالت الظروف بينى وبين زيارتك مرة أخرى فانى أودعك الآن  
ارتاعت الفتاة . ولكنها كظمت الغيظ وكتمت الالم . وتظاهرت

بالثبات

وتبرع النبيل الأصيل بقبلة ... ثم نهض مستأذناً ...

ولكنه ظل واقفاً مرتبكاً ...

قالت : صارخى . انت تخفى شيئاً ؟ ...

قال : نعم ...

وانتظرت الفتاة التفسير ...

ومرت دقيقة ...

قالت : تكلم ...

قال : انى خجل ...

قالت : وهل بيننا تكليف ؟

قال : لولو ! ... هل عندك نقود ؟؟ انى مأزوم وعبثاً حاولت

الحصول على مال ...

انتصبت الفتاة الشريفة رغم مرضها وهزالها وقالت :

— نعم . عندى يا حسين . عندى اربعمائة جنيه فى البنك . مبلغ

وفرته منك . فهو مالك . فى الشنطة دفتر الشيكات فهاته ...

وانثى النبيل الاصيل عليها يقبلها ثم احضر لها الدفتر ووقعت

بالصرف لحامله ...

قال وهو يطويه : تقى يا لولو أنتى لن أنسى معروفك أبداً .

وسأعرف كيف أرد قرضك وكيف أؤدى واجبي نحوك. يا انبل مخلوق ...

قالت وهي تقبله : اطلب لزوجتك الشفاء وادعوك بالسلامة ...  
وانتهت اجراءات الوداع على أرق وأحسن ما يكون . وغاب النبيل الاصيل عن النظر ...

☆☆☆

إن « الفيلا » لم تعش طويلاً بعد خروج الفتاة من المستشفى ...  
السبب واضح : ان النبيل الاصيل الذي غاب عن النظر . ظل غائباً عن النظر بشخصه وبرسائله وبصوره . وان الاربعائة من الجزيئات كذلك غابت عن النظر وكانت كل ما تملك ...

وسكنت الفتاة في الحال شقة صغيرة وهي تصبر صبر الكرام معللة النفس بعودة النبيل الاصيل . وبتحقيق الوعد النبيل الاصيل ! ...  
وكانت تعرف عنوانه في « كوك » فاخطرت به بحالتها وبعنوانها :  
وفي يوم من الايام دق جرس الباب . ففتحته بنفسها واذا بها أمام ساعي التلغراف ...

كادت تقفز من الفرح وخصوصاً عند ما علمت أنه من الخارج ...  
وفضت التلغراف بنشوة السكران من البشرى وقلبا يكاد يقفز من مخدعه وإذا بها تقرأ :  
« أبلغك آسفاً أنك حرة . انى تحت ضغط الظروف القاهرة أقطع علاقتى . اكرر أسفى »

« صديقك »

صعقت الفتاة وانغمى عليها بعد صرخة تذيب الحجر . لم يكن هناك  
إلا « ساعى التلغراف » الذى ظل واقفاً ينتظر البقشيش . وكان شاباً فيه  
مروءة فأجرى الاسعافات اللازمة حتى استعادت قواها ...

☆☆☆

وبذلت الفتاة جهود الجسارة لتثبت حق البنت المحجودة وليدة  
العلاقة غير الشرعية . فذهبت مساعياً هباء ...  
وتعرفت الى الاستاذ « شكرى » فكانت من الضحايا التى قذف بها  
خضم الحياة المضطرب الى « الجارسونيرة » . ولح فيها سرّاً . ولححت  
فيه شهماً . ففعلت وعفت . حتى كشف يوماً من الايام فى زيارة لها ان  
على « الشيزلونج » صوتاً بريئاً ينبعث من تحت الغطاء :

قال : ما هذا ؟؟

قالت : دموعى وآلامى وتعاسى ...

قال : افصحى !

قالت : بنتى ...

قال : وبنت من ؟

قالت : بنت الشارع . بنت الزقاق . بنت القدر ! ...

☆☆☆

أيها الشباب النبيل : الاصيل : إذا سألتموني ماذا تشتغل « لولو »  
اليوم ؟ أجبتكم :

— انجثوا عنها فى شارع عماد الدين ... إنها تشتغل « راقصة » !؟

. . . . .

## ٤ - الشقيقتان

عودوا بنا قليلاً إلى سنة ١٩١٢

ان الذهاب الى « مصر القديمة » يرى في المدخل قبل مستشفى  
« هرمل » متزلاً كبيراً في الفضاء أو في المزارع لا أذكر جيداً . . . ثم  
لا أريد أن أعين جيداً . . . ودعوني اغالط في الجغرافية ما دمنا نسجل  
الحقائق !!!

في ذلك المنزل كانت تقيم عيلة كبيرة

رب العيلة موظف كبير كان يتقاضى من الحكومة مرتباً كبيراً  
وكان مغرمًا بالزواج . وكان رجلاً من « الدقة القديمة » خشناً في  
مزاجه وفي طباعه . وأبى خياله السمج إلا أن يجمع زوجاته الثلاث في  
ذلك المنزل الكبير

وكان له من الزوجة الاولى أولاد كبار . هم اليوم من كبار موظفي  
المصالح والدواوين

وله من الزوجة الثانية أولاد كبار . أغليتهم آنسات أوسيدات  
وابن واحد اظنه قد مات

وله من الزوجة الثالثة بنتان

الاولى كانت تبلغ السادسة عشرة واسمها « سميحة »

والثانية كانت تبلغ من العمر الحادية عشرة واسمها « احسان »



ويقطن بجوار المنزل طالب يبلغ من العمر ستة عشر عاما - هو  
أيضا - وكان إذ ذاك بالمدرسة السعيدية  
وتزاورت أسرة الطالب مع « اسرات » الموظف الكبير ذى الثلاث  
زوجات وامتزجت العيلتان

☆☆☆

كانت الفتاة الكبرى في المدرسة « السنية » وكانت معروفة بجهاها  
الفتان : اللون الاسمر الحمرى . والشعر الطويل مودة ذلك الوقت  
وبهذه المناسبة أود في مؤلفي هذا أن أسجل أتني من ألد اعداء  
الشعر غير الطويل ... أنا من خصوم الشعر المقصوص على طريقة أولاد  
البلد وطلبة المدارس وغواة « القصة » الامامية من ابناء الفلاحين ...  
الشعر الطويل النامى جمال مستقل بذاته ، يوحى بالحشوع والاجلال  
ويلفت النظر وحده كنعمة ثرية من نعم الله ... له كبرياء وله عظمة  
وله مغناطيس ... ثم له دلال حين يخفى فيه الوجه الجميل ... ثم سحر  
حين يتناثر باهمال مقصود فبعضه يتدلى على الصدر . وبعضه يجثم على  
الكتف . وبعضه ينسحب على الظهر . . . ثم له روعة حين يلعب به  
النسيم . ثم يأكل القلب حين يغمر العاشق وجهه بين ثناياه وحين  
يمسح به دموع الحب والغرام !؟

من عهد أن قضى الجهل وسوء الحظ على هذه الثروة قلت في  
نفسى وداعا يا رمز الجمال . حين تجلى « القفا » وبرز ثقيل الظل ، ثقيل  
الدم ، ثقيل الوطأة على النظر ، أجرد أمرد أخضر قلت وداعا  
يا جاذبية !

أقول لكن الحق يا بنات اليوم : لقد انتحرتن شعراً . . . واتعس  
منكن حظا السيدات كبيرات السن نوعاً . كان الشعر الطويل النامي  
يهوش نوعاً ما على انقاض جمالهن المتخلفة . فلما أجهزن عليه اجهزن  
- حتى - على الانقاض !؟

❖ ❖ ❖

كان طالب مدرسة السعيدية حريصاً على الوجود بمزلة أسرته  
حين تحضر سميحة . وكانت هذه حريصة على أن تذهب حين يكون  
الطالب موجوداً

وكانت حجة «سميحة» في الزيارات المتكررة الصداقة التي توثقت  
عراها بينها وبين أخت الطالب وان كانت اصغر منها سناً بكثير . ثم كانت  
دائماً أبداً يصحبها حارس : اختها احسان

وكم كانت «الاخت» ولا تزال ليومنا هذا «الحجة» وكم كانت ولا  
تزال واسطة التعارف . وصاحبة الفضل في تكرار المقابلات ووضع  
الحجر الاساسي في العواطف . . . خذوا كلامي ببساطة ولا تغضبوا أيها  
الاخوة أشقاه كيتتم أو غير أشقاه

طالما استخدمتم الاخوات في انشاء العلاقات . وفي تميمتها وتغذيتها  
وفي نقل الرسائل وفي اصلاح ذات البين . وقد يكون هذا وذاك يتجه  
اتجهاً صالحاً ولكنه قد يتجه في بعض الاحيان اتجهاً فاسداً . في سبيل  
الاهواء أيها الاخوة لا تغفون ولا تذكرون أنكم تلقون اخطر الدروس  
على الاخوات وأنكم ترسمون لهن خطط الحب والهوى . وأنكم  
تكشفون لهن اسرار وسائل العشق . وأنكم تمريضنهن تمريضاً حماسياً

على أن يفعلن مثلما تفعلون وعلى ان لا يرين في الغرام شيئاً يחדش  
السمعة ويؤذى الكرامة . . .

هذه ملاحظة عرضية لا تمت في أصلها أو في نتائجها بنسب إلى وقائع  
حكايتنا ، ولكنى لم أستطع أن أغفلها وأنا أمر مرأ على علاقة « الحب  
الابجدى » الذى نشأ بين الطالب — وبين « سميحة » . . .

وكان لابد من مراسلات وخطابات . أما أخت الطالب فرفضت  
— على سذاجتها — بتأباً أن تكون ساعية البريد . وأما أخت « سميحة »  
فقد التحقت بالخدمة . . .

وإنى أسائل نفسى مندهشاً : لم يشغف العشاق من هذه السن ومن  
هذا الصنف شغفاً عظيماً بالمراسلات ؟ !

فى درج كل طالبة وفى درج كل طالب رزم مكدسة من رسائل  
الحب باللغات الثلاث : العربية . والانكليزية . والافرنسية . . . ثم بجانب  
هذه الخطابات صور فوتوغرافية فردية وزوجية تجمع بين العاشقين فى  
مختلف الازواع . وقد قرأت كثيراً من هذه الرسائل الحنونة فوجدت  
فيها غلوأ واطناباً وتسامحاً وجنوناً وتزقا . ووجدت أساليبها من نوع  
أساليب القصص فضلا عن أنها امتازت بخيال لا يخلو من سخافات  
ومضحكات . . . فهذه فتاة تهدد بالانتحار — وهذا فتى يهدد بالقتل —  
وهذه أخرى تهب نفسها هبة شرعية لصديقها — وهذا آخر يقترح  
الفرار — وهذه تصف حالتها النفسية وتعرض تفصيلا دقيقاً لهواجس  
الارق — وهذا يرفق بخطابه منديلا مبللا بماء الدموع ؟ . . .

ثم تقطع العلاقة الغرامية بحكم الظروف أو بحكم الضرورة أو بحكم

الفضل ، فتبقى خطابات الفتاة ومخلفاتها عند الفتى ، وتبقى خطابات الفتى وملحقاتها عند الفتاة . ثم يلعب الزمن الطويل دوره وتمر الاعوام والاعوام وقد تكون الفتاة قد ارتفعت إلى الجوزاء . وقد يكون الفتى قد هبط إلى الحضيض . وقد يكون العكس . ويظل السلاح القاسى الحاد فى يد كل طرف ومن يدري كيف يستعمله !!؟

والحب بحسب اختبارأتى العديدة فياض ثرثار . يحكى ويروى لكل صديق ولكل صديقة . وبرهانه الدليل الكتائى الذى فى يده . وكم عانت الاسر المصرية مصائب بسبب هذه المراسلات ... هل تطمع هذه « القصة » فى أن تسدى الى المحبين الناشئين نصيحة : أن يحبوا ما شاء لهم الحب ولكن لا يكتبون !!!



ترعرع الحب بين الطالب وبين « سميحة » . . . وكانت الشقيقة الصغرى هى ساعية البريد . وفى يوم من الايام حملت لاختها خطابا من نوع ما وصفت فضبطه الوالد الحشن وفضه وقرأه . وكانت ثورة : أما العقاب البدنى فتوقع على الفتاتين . وكانت الصغرى هى صاحبة النصيب الاوفر . وصدرت الاوامر بالمقاطعة . وبمنع الزيارة . وبالاكتفاء بما تعلمته الفتاة من المدرسة ؟! . . .

وعانت « احسان » الصغرى من الضرب الشديد ما عانت . وسجل عام ١٩١٣ وراه أذنها اليمنى جرحاً مزمناً لعبت فيه أيدي الاطباء ومن ضمنهم « نصف طيب » فى مدرسة الطب . طالب فى السنة الثانية قدمه « طالب السعيدية » وسبب المصيبة هدية ليقوم بالعلاج . واندمل الجرح

البدني بعد زمن طويل ولكنه خلف شيئاً . . . علامة مادية بقيت  
للذكريات . . .



تزوجت « سميحة » بعد ذلك فانقطعت العلاقة بينها وبين طالب  
السعيدية . ثم فرق الزمن بين الاثنين وانسدل الستار على الذكريات ...



في سنة ١٩٢٧ أي بعد مرور خمسة عشر عاماً يدق جرس الباب  
في « الجارسونييرة » دقاً رقيقاً . يفتح « المتر شكري » الباب ويستقبل  
زائرتين . احدهما كبيرة في سن الخامسة والاربعين . لا تستحق الوصف  
لانها ليست بالجميلة والثانية في سن السادسة والعشرين جميلة من كل ناحية .  
صاحب « الجارسونييرة » يعرف الكبرى ولكنه لا يعرف الصغرى .  
وجرى التعارف والصغرى تحدد في وجه الاستاذ بشغف وفضول . . .  
ودار الحديث والصغرى واجمة . تسمع ولا تنبس بنت شفة .  
لفت هذا الجمود نظره فوجه اليها حديثه وأخذ يحببها وهي ذاهلة . ثم  
كان اغمامة نصف يقظة قد غشيتها فهي تغيب عن المجلس وعمما يدور  
فيه . ثم تنبه وتأوه . . . !

قال الاستاذ لنفسه : إن في الامر شيئاً

ثم قال لها : هل السيدة تشعر بتعب ؟ !

قالت بخفوت : لا

ثم قالت : نعم

قال : بماذا تشعرين ؟ ؟

قالت بظرف : لا تشغل . الامر هين  
ثم نهضت فجأة بشكل عصبي وأشارت اليه أن يتبعها الى الصلاة ...  
قام وراها وقد شغلته هذه الحركات العجيبة . وفي ركن من اركان  
الصلاة همست في اذنه قائلة :

هل كنت تسكن « مصر القديمة » منذ خمسة عشر عاماً ؟

قال مضطرباً : نعم !

قالت : وكنت طالبا بمدرسة السعيدية ؟

قال مضطرباً : نعم !

صمت ، ثم حدثت ، ثم هطلت دموع ثم ارتمت على الكرسي ...  
تناول يديها وأخذ يهدى روعها وهو لا يذكر شيئاً . وهو إذ يحاول  
ان يستدعي صديقته الكبرى تقبض على أنامله ثم تشدها شداً الى ما وراء  
اذنها اليمنى وتهمس : المس ، وتذكر !

جرح ؟ !

بل أثر جرح ؟ !

ويفيق الاستاذ من نوبة المفاجآت ويصرخ بجزع : أنت ؟ !

أنت ...

فتقول : نعم أنا ! أنا « إحسان » ...

☆☆☆

إحسان ! ...

إحسان الصغرى أخت سميحة ...

وبعد خمسة عشر عاماً ...

قال وقد تحركت عواطفه من قبرها الذى دفنت فيه فى سنة ١٩١٢ :  
— وسميحة يا إحسان كيف حالها ؟

قالت : مثلى . . .

قال : ماذا تعنين ؟

قالت : هكذا ... تزورك وتزور أمثالك من سكان الجارسونيريات !  
وأخذت تبكى بكاء مرأً وقد وقف بجوارها مذهولاً متحسراً  
متألماً وهو يقول : ما أقسلك أيها القدر . . .

☆☆☆

وفى اليوم التالى حضرت الشقيقتان وكانت مناخة . . .  
لقد مات زوج الكبرى وخلف أولاداً وخلف فقراً . . . ومات  
أبو الشقيقتين وخلف هو الآخر فقراً . . . بقى الاخوة الرجال الكبار  
الذين يحتلون اليوم مناصب الدولة الكبيرة فى بعض المصالح بالقاهرة .  
منهم الذى يشرف على معاهد الاخلاق ، ومنهم الذى يدير ملاجىء  
البؤساء التعماء ، ومنهم الذى يجرى الرزق على معشوقاته ببذخ واسراف ،  
ومنهم الذى برز فى الهيئة بروزاً ساطعاً . . .

يكفى أن تقول إحدى هاتين لاحدكم : أنا أختك ! لتحطمه تحطماً  
أدياً أبدياً . ولكن يا لعواطف المرأة حين تقبر سرها من أجل  
الآخرين ؟ . . . !

هؤلاء الاندال تركوا الاخيتين غير الشقيقتين للقضاء وللقدر وللدنيا .

ضنوا عليهما بالقوت فدفع « العرض » الهم فلم يبالوا !!!  
أيها الناس : لا تحقروا بالله عليكم هذا الصنف من « ضحايا القدر »

وأصلحوهن ان وجدتم مجالاً للاصلاح .  
ولا أقل من احترام الدموع والاشجان !!!

☆☆☆

ان « قصص الجارسونييرة » عديدة وكلمة  
النفسانى ومن نوعه . ولو احتمل المجال لقصص  
ومأساة ..

يعيب المتطرفون فى عالم الاخلاق الفاضلة على  
المسلك الذى يعدونه فى نظرهم معوجاً ...

ولست أحول الدفاع فانى من ذلك الرأى . ولكن لا بد  
الاجتماعى أن يتصل بالمجريين ليدرس وليتعلم ان لم يغمر نفسه متعمداً فى  
خضم ذلك البحر الرهيب . والافن أين يغترف النصائح وهى بنت  
التجربة ووليدة الاختبار ؟ !

☆☆☆

قلت لصديقى « شكرى » بعد أن وصلت فى كتابى الى هذا الحد :  
هل عندك من مزيد ؟؟

قال : عندى الأدهى والأمر . عندى تاريخ أربعة أعوام رهيبه .  
كنى سوف أخفيه عنك الى أجل ...  
: ولم ؟ .

انه متصل بالدولة ، وبسياسة الحكم وبالاقطاب ! ...

هؤلاء ؟ !

ومثلك تماماً . غير أنى ، أنا وأنت ، من « الاحرار »

الذين لا تقيدهم زوجة ولا عيلة ولا أولاد - من الذين لا يحملون على  
جباههم عنوان الوظيفة ، ولا علم الدولة ، ولا واجب الحكم - من الذين  
لا تتأثر بسلوكهم المعوج مصالح العباد . . .

قلت : وهل من علاقة بين المرأة ، والدولة ؟ !

قال : هذا هو موضوع مذكراتي الآن . فاستلمها مني بعد عام ! .

. . . . .  
. . . . .

## فراق وخاتمة

في صيف سنة ١٩٣٢ ظفرت «بالضحك الباكي» في بلاج من بلاجات الاسكندرية الثائرة فقرأت عليه قصته الاستعراضية . ووجدته قد تغيرت اخلاقه ، وقد اتزن . . .

قال : أقترح عليك ان نفترق . . .

قلت : لا مانع عندي . ولكن ألا ترى ان تكتب بيدك خاتمة قصتك ؟ . . .

قال : حسنا . اليك كلمتي الأخيرة :

« مواظبي الشبان :

« شاء صديقي أن يقدمني اليكم شاباً مستهترا لتنتفعوا بما سيه

ومبازله . . .

« إنني أقبل هذه التضحية في سبيلكم عن طيب خاطر . . .

« لكن تحت شرط :

« أن تقبلوا مني نصيحتين اثنتين :

الاولى : أن تزوجوا قبل الخامسة

والعشرين . . .

الثانية : ان لا تستغلوا بالسياسة

قبل الخامسة والثلاثين . . . .

والى اللقاء

تكرى

« انتهى »













